مجلة ملتقى أهل اللغة

مجلة علمية أدبية تعنى بنشر الإبداعات الأدبية ، والمقالات والدراسات العلمية الأصيلة المتصلة بعلوم العربية

ذو القعدة ١٤٣٧ – العدد الثامن – السنة الرابعة – تصدر عن ملتقى أهل اللغة – www.ahlalloghah.com

مجلة ملتقى أهل اللغة

مجلة علمية أدبية تعنى بنشر الإبداعات الأدبية والمقالات
والدراسات العلمية الأصيلة المتصلة بعلوم العربية
لأعضاء ملتقى أهل اللغة
تصدر مرتين سنويا

ذو القعدة

١٤٣٧

الغلاف

بسمة الإبداع

basmah.me

تصدر عن ملتقى أهل اللغة
www.ahlalloghah.com

بسم الله الرحمن الرحيم

ماذا بعد الآجرّومية ؟

وفنون في ذلك

خبيب بن عبد القادر واضح

مقال مستل من حلقة النحو والتصريف

ماذا بعدَ الآجرُّوميَّـةِ ؟

وفُنونٌ في ذلِكَ

استرشدتَّ – أخي الفاضلَ ! – إلىٰ كتابٍ ينفعُك في صناعةِ العربيَّةِ ، بعد أن ألـممتَ بـ (التُّحفة السَّنيَّة) ، واحتويتَ على (الـمقدِّمة الآجرُّوميَّة) ، فدُللتَ علىٰ (خلاصةِ النَّحو) ، وأن يُمهَّد لها بشيءٍ مِن تقييدِ المعاصرين .

فلم يَكفِك ذٰلك ، حتَّىٰ رُحتَ ترجو أخاك العاطلَ ، وتطلبُه سرًّا وجهرًا ، وأسرَرْتُ لك بأنَّ هٰذا شيءٌ مِن شأنِ النَّاسِ أن لا تستتِبَّ فيه آراؤُهم ، والصَّمتُ خيرٌ لي ، وربَّمـا وجدنا مِن الإخوةِ مَن يفيدُ بخيرٍ ممَّا نروم ، ولم ينفعْك كلُّ ذٰلك عذرًا . ولا أملك لك إلَّا الإجابةَ ، وها هو ما اتَّفق علنًا كما سألتَ عنه علنًا . وأسأل الله السَّدادَ لي ولك .

❋ ❋ ❋

أَوَّلُ هٰذا الأمرِ أن يمشيَ الإنسانُ علىٰ ما سَلكه مَن مضىٰ ، وما عليه درسُ العلمِ في بلادِه ، فيكونَ متَّبعًا ، قافيًا للأثرِ ، لا راكبًا كلَّ مُحدَثٍ وجديدٍ . فإنَّ الأمرَ كلَّما كان آثَرَ : كان أفضلَ .

وكان الدَّرسُ عندنا في الـمغربِ قديمًـا يُبدأُ بكتابِ (الـجُملِ) لأبي القاسمِ الزَّجَّـاجيِّ (ت ٣٣٧) ، حتَّىٰ يُصـارَ إلىٰ (كتـاب) سيبويـهِ رحمه الله ، إمـام النَّحوِ ، و(الجُملُ) كتابٌ ميسَّرٌ ، غزيرُ المثُل ، وكان مِن الكتب المبارَكةِ ، لم يشتغلْ به أحدٌ إلَّا انتفعَ ، وكثُرت الشُّروحُ عليه مِن أجلِ ذٰلك .

ووضَع أبو بكرٍ الزُّبيديُّ رحمه الله (ت ٣٧٩) كتابَه (الواضح) ، وهو كتابٌ سهلٌ ، يُغري ناظرَه ، وفيه مِن علمِ النَّحوِ والتَّصريفِ أصولُه ولُبابُه ، مع حُسنِ انتقالٍ ، وحُسنِ تصرُّفٍ ، وخلَطه بمُصطلحاتِ الكوفيِّين . والزُّبَيديُّ معروفٌ بنفاذِه في علمِ اللُّغةِ والعربيَّة والشِّعر ، وإمامتِه في ذٰلك ، وقُربِ عبارتِه رحمه الله . وكان يُشيدُ بكتابه أبو محمَّد بنُ حزمٍ رحمه الله (ت ٤٥٦) ، ويقول : « إنَّه يكفي مَن أراد هٰذا العلمَ ليَستعينَ به علىٰ فهمِ الكتابِ والسُّنَّة » اهـ

ثمَّ وضع النَّاسُ بعد ذٰلك كتبًا ، كـ (الكرَّاسة) للجُزوليِّ (ت ٦٠٧) ، وغيرِه ، إلىٰ أن جاء ابنُ مالكٍ رحمه الله (ت ٦٧٢) ، فصار أمرُه كما قيل :

وقلَّدتُّ إذ ذَّاك الهوىٰ لِـمُرادِها		كتَقليدِ أَعلامِ النُّحاةِ ابنَ مالكِ

ورحل إلى الشَّرق ، واشتهر ، وكان يصنِّفُ الكتابَ لِـمَن سأله مِن الطَّلبة ، فينظرُ فيه ، ويملِّسُه ، ويُقرئُه ، ويَشرحُه ، ثمَّ يكونُ له غيرُه ، يزيدُ ويَنقُص ، حتَّىٰ صارتْ له كتبٌ كثيرةٌ في هٰـذا الشَّأنِ ، تقومُ بها مدرسةٌ وافيةٌ بدَرسِ العربيَّـة ، وأشهرُ كُتبِـه : (عُمدة الحافظِ وعدَّة اللَّافظ) ، وهو للمبتدئين ، و(الكافية الشَّافية) ، وهو نظمٌ للمتقدِّمين ، وانتهىٰ أمرُه معهم إلى كتابِه (التَّسهيل) ، وشرَح الثَّلاثـةَ ، غيرَ أنَّه لـم يقضِ (التَّسهيل) .

واختصر (الكافيةَ) مُبقيًا علىٰ جلِّ المهمَّاتِ ، وعامَّةِ المقاصدِ ، وحذَف كثيرًا مِن الـمُثُل والشَّواهد ، فكانتْ له (الخلاصةُ) الـمعروفة ، وطارتْ في الآفاق ، وحلَّتْ بكلِّ نادٍ مِن نوادي العلم ، ووقعتْ مِن النَّاسِ موقعًا حسَنًا ، فانتصَوْها ، وأقبلوا عليها ، وصارتْ مُعتـمدَهم في الدَّرسِ والتَّحصيل ، فلا يُحصىٰ كم حافظٍ لـها ، وشارحٍ ، ومُشيدٍ بها ، وناصحٍ .

***

وائْـتـثَر ابنَ مالكٍ رحمه الله جماعةٌ مِن العلماءِ بعدَه ، منهم أبو محمَّد بنُ هشامٍ الأنصاريُّ الـمصريُّ رحمه الله (ت ٧٦١) ، وكان قد انتهىٰ إليه علمُ العربيَّةِ في زمـانِه ،

مع ما أُوتيَه مِن حسنِ البيانِ ، وجزالةِ المنطق ، وخفّةِ النّفسِ ، ولينِ المعشرِ ، وتصدَّر لإقراءِ العربيَّة ، فانتفع به الخلقُ ، ووضَع مقدِّمتَه (قطرَ النَّدىٰ وبلَّ الصَّدىٰ) ، ووطَّأها بشرحٍ جلَّىٰ مواردَها ، وأتمَّ شواهدَها ، وفصَّل قواعدَها ، وامتطىٰ فيها أن تكونَ سبيلًا إلى علمِ (الخلاصة) ، ولم يُفصِحْ عن ذٰلك . ووضعَ قبلَه (شُذور الذَّهب) ، وحشَّىٰ عليه . وكانتْ لبعضِ إخوانِك كلمةٌ في الفرقِ بينهما ، لعلَّك مُطَّلعٌ عليها في موضعِها مِن هٰذه الحلْقة . (١)

فصار تعلُّمُ النَّحوِ عندنا ينحو مَسلكَ ابنِ هشامٍ في (قَطرِه) ، و(شُذورِه) ، حتَّىٰ يَلِجَ (الخلاصةَ) لابن مالكٍ ، علىٰ هٰذا درَج النَّاسُ ، وعليه تعلَّمْنا ، وعليه نسيرُ .

وقبلَ (الخلاصةِ) أبوابٌ مهمَّةٌ ، يحسُن عِلمُها ، كأحكامِ الجُمَل ، وأشباهِ الجُملِ ، ومعاني بعضِ الحروفِ ، وتصريفِ الأفعالِ ، وما يلاقيها مِن الأسماءِ في الاشتقاقِ ، ومُقدِّمات التَّصريفِ في الزِّيادة ، والإبدالِ ، والإدغامِ ، فيعرفها متفرِّقةً

---

(١) انظُر : حديثَ (ما الفَرقُ بينَ (قَطرِ النَّدى) و (شُذورِ الذَّهبِ) ؟) في الرَّابطِ أدناه :
http://www.ahlalloghah.com/showthread.php?t=12256 (هيئة التحرير)

في مظانّها ، حتّىٰ إذا بلَغ (الـخلاصةَ) كان مُستعدًّا لحَيِّ كلِّ ذٰلك في قالَبٍ واحدٍ هو (الخُلاصةُ) .

ومِن أحسنِ الكتبِ الَّتي تضمَنُ ذٰلك بعدَ (القطرِ) و(الشُّذورِ) : (قواعدُ الإعراب) لابن هشامٍ ، و(لاميَّةُ الأفعال) لابن مالكٍ ، و(التَّصريفُ الملوكيُّ) لابن جنِّي (ت٣٩٢) ، أو إن شاء كتابًا لِـمَن تأخَّر فـ (نزهة الطَّرف) للميدانيِّ ، أو (نزهة الطَّرف) لابن هشام .

والعادةُ الـجاريةُ : أن تُقرأَ (اللَّاميَّةُ) ، وقد يُقرأُ (قواعدُ الإعرابِ) ، وعلى (اللَّاميَّة) احمرارٌ لبعضِ الشَّنقيطيَّة ، و(توشيحٌ) يجمع الاحمرارَ وغيرَه ، لِكاتبِ هٰذه الكلمةِ ، بلغَ بها خمسةً وستِّين ومئتيْ بيتٍ ، وقد قرأنا (اللَّاميَّة) مفردةً وبالزِّيادات ، وقرأنا (نَظم المِجراديِّ) ؛ وهو تلخيصٌ لـ (قواعدِ الإعرابِ) ، وتعاوَرْنا (قواعدَ الإعرابِ) مع الزُّملاء .

وفي (الخُلاصةِ) مِن لطائفِ الإشاراتِ ، ومجامعِ المهمَّات ، وحُسنِ التَّعليلِ والتَّرتيبِ ما يرفعُها عن مقامِ الـمُبتدئينَ ، ويُبوِّئُها تلك الـمكانةَ الَّتي حدَتْ أبا حيَّان رحمه الله (ت ٧٤٥) أن يقولَ فيها :

أتلكَ مَعـانٍ تحتَ ذا النَّظمِ أم سِحرُ ؟ ألفظٌ نَظِيـمٌ للخـلاصـةِ أم دُرُّ ؟

فمـا عرَف الأقوامُ مقدارَ فضلِها ولٰكن ! ثناهم أنَّ مَسلكَـها وَعْـرُ
كمـا يترُكُ الحسناءَ مَن باتَ مغرمًا بها مستهامًا ليس يمكنـه الْـمَـهرُ
أتيـتَ بلفـظٍ بـاذخٍ يا ابـنَ مالكٍ فأنـت به حيٌّ وإن ضمَّـك القـبْرُ

وقد حرَص الشَّاطبيُّ رحمه الله (ت ٧٩٠) علىٰ تحقيقِها وتجليَتها وامتِثالها في شرحِه العظيمِ الكبيرِ ، وبيَّن فيه غيرَ مرَّةٍ أنَّ (الخُلاصةَ) لم تُوضَعْ لمبتدئٍ أجنبيٍّ عن هٰذا العلمِ ؛ لأنَّها تعتمدُ مَسالكَ مِن الاستِدلالِ خَفيَّـةً ، لا يُدركُها المبتدئ ، وفيها ضَربٌ مِن التَّعليلِ ، والاستِقراءِ ، والبحثِ ، وقد سلكَ فيها مسلكَ الاجتهادِ في التَّحصيلِ ، والمبتدئُ لا يُكلَّفُ بذٰلك ، ولا يَقدرُ عليه ، وإنَّما يقومُ له مَن شَدا مِن العربيَّةِ طَرَفًا صالحًا ، وأراد التَّبلُّغَ ، فإن قيل للمُبتدئِ – وما أكثرَ ما يقالُ – : اعنَ بالألفيَّة = فذٰلك مَضيعةٌ له ، وقطعٌ لسبيلِه .

❊ ❊ ❊

ومَن درَس (الآجرُّوميَّةَ) فليس بمؤهَّلٍ ليَنظُر في (الخُلاصةِ) باستقلالٍ ؛ فبينَهما مِن المفاوزِ ما بينَهما ، وإنَّما يَبْتغي إليها وسيلةً ، ويستشفعُ بذرائعَ بينَ بينَ ، وتلك هي (القطرُ) وما في فلكِه . و(القطرُ) أحسنُ أن يبدأَ به ؛ لأنَّه مختصرُ العبارةِ ، وافٍ بالمقصودِ ، وهو يبني علىٰ ما عرَف ، ويزيدُه شيئًا لا يعرِفُه ، وهٰكذا شيئًا فشيئًا .

ولقد سمعنا مَن يقولُ : ينبغي أن يُنتقلَ مِن (الآجرُّوميَّة) إلى (الألفيَّة) ، لا يُخلَّلُ بينَهما بشيءٍ ، وهٰذا قولٌ ينبغي أن لا يُؤخَذ إلَّا بثَبَتٍ ، وأن يُنظرَ فيه ، لَعلَّه خَلْفٌ مِن الرَّأيِ ، وسوءٌ في التَّقديرِ ، وذٰلك أنَّ الآجرُّوميَّ لن يقومَ بـ (الألفيَّةِ) مِن مَرَّتِه ، ولن يستطيعَ ! إلَّا أن يدرُسَها نحوًا مِن خمسِ مرَّاتٍ ، ويكونَ في ذٰلك مِن التَّطويلِ أضعافُ أضعافِ ما يقرؤها بعد أن يتأهَّل ! اللّٰهمَّ إلَّا امرأً عنده استِعدادٌ خاصٌّ ، وأُلـهِم مِن التَّوفيقِ ما لا يَـخـرِم السُّنَّـةَ الـجاريةَ في الكونِ ؛ فإنَّ النِّسبةَ بين (الآجرُّوميَّة) و(الخُلاصةِ) كمـا بين الرَّضيعِ فطَمَه أهلُه ، يرادُ له أن يتجاوزَ مرحلةَ الصِّبا ، والفُتوَّةِ ، واللَّعِب ، واللَّهوِ ، حتَّىٰ يكونَ مِن يومِه مُتماسكًا ، في الجِدِّ والقِراع ، حَصيفَ الرَّأيِ ، مُنتهيَ القوَّةِ ، مُنبعِثَ العزيمةِ ؛ ليؤُمَّ في حوالِك الظُّروفِ ، ومواقعِ الخطَر ! فالخروجُ منه إليه هو كهٰذا ! وأنت تُعالجُ النَّاسَ ، وتَلحظُ وترىٰ .

ومرادُهم أنَّ علمَ العربيَّةِ ليس مقصودًا لذاتِه ، فينبغي التَّخفُّف منه ، والاكتفاءُ بقدَرِ الحاجةِ ، وأن يكونَ كالملحِ في الطَّعامِ . وهٰذا مرادٌ صحيحٌ ، لا ينكرُه أحدٌ . والشَّأنُ ليس فيه ، ويُعجِبُني قولُ الشَّيخِ حسنِ بن عبد الرَّازقِ رحمه الله في (ألفيَّتِه) في علمِ البيان ، الموسومة بـ (لآلئ التِّبيان) :

فقولُـهـمْ : ٱلنَّحْـوُ في الكلامِ مطَّلَبٌ كالـمِلـحِ في الطَّـعـامِ

ما وجهُهُ كونَ القليلِ مصلِحَا	لٰكنَّه – إن كنـتَ ممَّن نـقَّحا –
هو الصَّلاحُ إنْ غدا مُستَعمَلا	أو الفسادُ إن تَـوارىٰ مُهمَـلا

❋❋❋

وبعضُـهم تُسوِّلُ له نفسُه أن يصيحَ في الأمَّـةِ بأنَّ (الآجرُّوميَّـة) – مثلًا – تكفي ! عجبًا له ! مَن أقنَعتْه (الآجرُّوميَّةُ) فأجنبيٌّ مِن الشَّريعةِ ، وهو في حَضيضٍ ، وسوف يكونُ " مقلِّدًا " في ما ينتحلُ مِن معاني العلمِ ومَواجِه ، لا محالةَ في ذٰلك ، وعليك بعد ذٰلك مِن الاضطرابِ والخللِ !

فعَجبٌ للنَّاسِ ! كم يَستهويهم كلُّ طارفٍ ، وكم يَجدون اللَّذَّة في كلِّ جديدٍ ! وكم يَوَدُّونَ لو يُميتونَ ما عَلِموا وعرَفوا لِـمَا جهِلوا وأنكَروا ، ولم يكُنْ عليه آباؤُهم المحسنونَ ! أوَليس يرونَ ما حاقَ بمَن قصَّر في التَّقديرِ ، وغلِط في التَّصرُّف ؟ ألا يتَّعظونَ ؟ ألا يَرْعَوُون ؟!

أم هي عَجلةٌ تحملُ النَّاسَ على التَّخفُّف مِن العلمِ بأقلِّ القليلِ ، ثمَّ يصيرُ الواحدُ إلى الوظيفةِ ، أو غيرِ ذٰلك ، وينالُ الأوسمةَ والألقابَ !!

والسَّلفُ رحمهم الله ما كانوا هٰكذا ، كان العلمُ عندهم شغلَ العمرِ ، لا يصرفُهم

عنه شيءٌ ، ولا يتلهَّون بنوعٍ منه عن نوعٍ ، حتَّىٰ لَيكونُ الواحدُ منهم كوَزنِ الأمَّةِ منَّا ، بل يَزِنُها ولا تَزِنُه !

والعاقلُ ليس له أن يقولَ : إنَّه لا بدَّ لكلِّ طالبِ علمٍ أن يتعلَّم كيتَ وكيتَ ، ولا يقرأَ كيتَ وكيتَ ، مِن الكتبِ ، ولا العلومِ ، فكلُّ أحدٍ فموكولٌ إلىٰ ما بلغه ، وفضلُ الله واسعٌ ، ولٰكن ! هٰذه منافذُ الشَّريعة ، فمَن رامَ الشَّريعةَ مِن غيرِ منافذِها وأبوابها ؛ فقد رام عَجْزًا ، وقد أتاه مِن الفَساد في نَفسِه ودينِه وأمَّتِه وهو يظنُّ أنَّه يُصلِح !

وكلامُ النَّاسِ في هٰذا النَّحوِ كثيرٌ ، وحسبُنا ما سطَر الشَّاطبيُّ رحمه الله في (الموافقات) ، دَلالةً عليه ، وتصحيحًا له .

وكثيرٌ مِن المعاصرين يرومون التَّسهيل ، ويأتونَ منه بالغرَض ، ولٰكنَّ التَّسهيلَ لا ينفي الخللَ ، ولا يوجبُ الرَّشَدَ ، وإذا صار التَّسهيلُ القصدَ في العلمِ فهو علىٰ حسَب الإتقانِ ، ضربةَ لازبٍ ، فيفوتُ المستسْهِلَ مِن ضبطِ أصولِ العلمِ ، وحيازةِ مهمَّاتِه ، وتحصيلِ ملكتِه ما لا يخفىٰ .

وكلَّما كان الإنسانُ آثَرَ لكلامِ المتقدِّمين ، وأشدَّ اعتناءً به : كان خيرًا له وبركةً ، ولا تسَلْ عن متانَةِ العلمِ ، وقُصُوِّ الاضطرابِ . وهٰذا شأنٌ مطَّردٌ لا يتخلَّفُ بحالٍ ،

فكلُّ خيرٍ فالمتقدِّمون أقدرُ عليه ، وأملَكُ له ، وأولىٰ به ، وأقوَم ، وهم منابعُ العلمِ النَّقيَّة ، وغيثُه الْـمُغيث ، وإلىٰ أمرِهم يُرجَع في كلِّ شأنٍ ، وما كان أحسنَ المثالَ الَّذي ضرَبه ابنُ مالكٍ رحمه الله في (الخُلاصةِ) حيثُ يقول :

وقد تُزادُ (كان) في حَشوٍ ، كـ « مَا　　كانَ أصـحَّ عِلمَ مَـن تَقـدَّمـا ! »

وإذا كان هٰذا ، فعَلامَ يحرِمُ الإنسانُ نفسَه ؟!

وكتُبُ المتقدِّمين ليستْ بصَعبةِ المنال ، ولا عسِرةِ البناءِ ! بل هيَ : أسهلُ ، وأقربُ ، وأعذبُ مِن كتبِ الـمعاصرينَ ، وأصحُّ لغةً ، وأدنىٰ تمثيلًا ، وأغزرُ علمًا ، فقد كانوا يكتبون ليَـهْدُوا ، غير أنَّهم ما كانوا يَعتـمدونَ التَّلـوينَ ! والزَّخـرفةَ !! ولا يَشغَلون النَّاسَ عن اللُّبابِ بالقشـور ! وإنِّي لَأقـرأُ للزَّجَّاجِ رحمه الله - مثلًا - فلا أكادُ أشبعُ مـمَّـا يقولُ ، كلامُـه كلُّه علمٌ ، يتدفَّقُ تدفُّقًا ، وأقرأُ لابنِ جنِّي ولابن يعيشَ فلا يقطعني إلَّا العارضُ الْـمُلزِم ، وواقع الحال .

وإذا كان بالإنسانِ جِدَّةٌ وقُرْبُ عهدٍ فلا بأسَ أن يستعينَ بمَن دنا : ليهدِيَه إلىٰ أولئك ، بل هٰذا فرْضُه ، فإن استقامتْ له السَّبيلُ ، واتَّضحتْ له المحجَّةُ : سلَكها ومضىٰ ما شاء الله له ! وإن لا فليس إلَّا تطويلٌ للطَّريق ، وبُعدٌ للشُّقَّة ، مع الضَّحـالةِ

والقِلَّة .

***

هٰذه نفثةٌ .

والـمقصـودُ أنَّ الَّذي يُشـارُ بـه علىٰ مَن درَس (الآجـرُّوميَّـة) هو أن يـدرُسَ (القَطر) ، ويأخـذُه أخذًا رفيقًا ، علىٰ سُنَّةِ أخذِ العلمِ ، ثمَّ هو يتقلَّبُ في تلك السِّلسلةِ ، حتَّىٰ يُنهِيَ (الألفيَّة) ، وحينئذٍ يكونُ قد دخل بابَ العلمِ حقًّا ، وصار إلىٰ (الكتابِ) ، و(المقتضبِ) ، و(الأصولِ) ، و(شرحِ الـمنـصفِ) ، و(شرحِ المفصَّلِ) ، و(التَّذييلِ والتَّكميلِ) ، وما إليها . وهٰذا قولٌ يقالُ ، والأصلُ أنَّ طالبَ العلمِ يتتبَّع مِن الشُّيوخِ مَن يُعينُه علىٰ ما هو فيه ، ويسدِّدُه ، والشَّيخُ هو أعلمُ بما يصلحُ . وأمَّا رومُ العلمِ دونَ شيخٍ ينيرُ السَّبيلَ فمُرتقًى صعبٌ وشيءٌ ثقيلٌ :

مَن لم يُشافِهْ عالِـمًا بأصـولِه   فيَقينُه في المشـكِلاتِ ظُنونُ
والكُتْبُ تذكِرةٌ لِـمَنْ هو عالمٌ   وصوابُها بمُحالِـها مَعجونُ

وربَّما لـم يجد الإنسانُ في مُبتدإِ أمرِه مَن يرحمُه ، ويأخذُ بيدِه ، فعليْه بالصَّبرِ ، والبحثِ ، ويتَّقِيَ الله ، ويَصدُقَه ، ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ .

ولا أَعِيبُ (القطرَ) بشيءٍ ، غير أنِّي كنتُ أتمنَّىٰ لو ألَـمَّ بأربعةِ أبوابٍ مِن علمِ العربيَّةِ ؛ ليكونَ أتمَّ غايةً ، وأبلغَ نفعًا ، بابٍ في النَّحوِ ، وهو القَسَمُ ، وثلاثةٍ مِن صميمِ علمِ التَّصريفِ : النَّسَب ، والتَّصغير ، والتَّكسير . فلو جوَّد عليهِنَّ كلامًا مختصرًا لكانَ ما كانَ !!

وإنَّما ودِدتُّ لو كان لـها في (القَطرِ) موضعٌ : لِيسْبِق علمُها إلىٰ قلبِ طالبِ العلمِ ؛ وذٰلك لكثرةِ الحاجةِ إليها ، وكثرةِ دوَرانها في الكلامِ ، وكثرةِ الغلَط العارضِ فيها ، فكان ينبغي أن يتزوَّدَ الطَّالبُ بنبذةٍ منها ، يستعينُ بها في مَنطِقه ، ويثبِّتُ علمَها في صدرِه . ثمَّ هي في (الـخُلاصةِ) مُترامِيةُ الأطرافِ ، واسعةُ التَّفصيلِ ، طويلةُ الذَّيلِ ، وكذٰلك ينبغي أن تكونَ . وقد سقَط القسَمُ مِن (الخُلاصةِ) رأسًا ، وأبوابٌ أخر .

نعـم ! ولا ينبغي أن يهجُم الشَّيءُ على الإنسانِ دفعـةً واحدةً ، فتَعِيَه أذُنه أوَّلَ مرَّةٍ ، ويعلمَه قلبُه علمًا تامًّا ، وقد كان به قبل ذٰلك جاهلًا جهلًا محضًا ، وما مَراتبُ التَّعليمِ ودَرجاتُه إلَّا لنفيِ هٰذا ، فهٰذا إن كانَ فاتت الفائدةُ المرجوَّةُ أو كادتْ .

ولا يُعترَض عليَّ بأنَّ هٰذه المسائلَ مِن علمِ التَّصريفِ ، و(القطرُ) في النَّحوِ خاصَّةً ؛ لأنَّ لي مِن المعنىٰ ومِن التَّصرُّفِ ما يدفعُه :

- وأوَّلُ ذٰلك : أنَّ التَّمييزَ بين العِلمَين شيءٌ متأخِّر ، ولم يكنْ يُعنىٰ به .
- والثَّاني : أنَّ أبا محمَّدٍ الحريريَّ رحمه الله (ت ٥١٦) تعرَّض لبعضِ تلك المسائلِ في (مُلحة الإعراب) ، وهي دونَ (القَطر) في القوَّةِ والغزارةِ ، وفي تعرُّضِه مِن التَّنبيه علىٰ شأنِ البالةِ بها .
- والثَّالثُ : أنَّ (القَطر) لم يَخْلُصْ للنَّحو خُلُوصًا ، بل فيه مِن علم التَّصريفِ لَـمْحَةٌ ، كافتتاحِ المضارعِ بحروفِ المضارعة ، وضبطِ حركتِها ، وضبطِ صيغةِ الفعلِ المبنيِّ لغيرِ الفاعلِ ، والوقفِ علىٰ بعضِ الكلِمِ ، بل وفيه تعرُّضٌ لعلمِ الإملاءِ ، في آخرِه ، وهٰذه المسائلُ أَوْلىٰ ممَّا ذُكِر ؛ لأنَّ تلكَ في التَّصريفِ جادَّةٌ ، فإن كان ذكرُها في النَّحوِ لعمومِ الحاجةِ بها = فالمسائلُ الَّتي نَعنيها كذٰلك .
- والرَّابع : أنَّ هٰذه المسائلَ لها بالنَّحوِ تعلُّقٌ ، فالمنسوبُ في قوَّةِ الاسمِ المشتقِّ ، فهو يجري صفةً وحالًا وخبرًا ، والمصغَّرُ في قوَّةِ الموصوفِ ، والتَّكسيرُ يحتاجُ إليه في العددِ وغيرِه .

وممَّا يبيِّن هٰذا التَّعلُّقَ أنَّ بعضَ كتبِ التَّصريفِ الخالصةِ أُغْفِلتْ منها ؛ فإنَّما أُغفِلتْ منها لأنَّها ألصقُ بالنَّحوِ ! وها هو (التَّصريف الملوكيُّ) لابن جنِّي شاهدٌ علىٰ ذٰلك ، و(إيجازُ التَّعريفِ) لابنِ مالكٍ ، و(البسطُ والتَّعريفُ) للمكُّوديِّ نظمًا (ت ٨٠٧) ، رحمهم الله .

- والخامس : أنَّ ابنَ مالكٍ رحمه الله أعقب في (الخلاصةِ) مسائلَ النَّحوِ هٰذه الأبوابَ خاصَّةً ، فذكرَ التَّأنيثَ ، والممدودَ والمقصورَ ، وتثنيتهما وجمعَهما ، وجمعَ التَّكسير ، والتَّصغيرَ والنَّسَب ، ثمَّ جاء إلى التَّصريفِ بعدَ ذٰلك ، وفي ترتيبِه وتقديمِه إشارةٌ إلىٰ موضعِ الحاجة .

وابنُ هشـامٍ – والله ! – معـذورٌ ؛ لأنَّه رحمه الله ورضيَ عنه كان عُني بمـسألتَي (المصغَّرِ) ، و(الـمنسوبِ) ، فأدرجَهمـا في ما لخَّصه مِن بَحثِ التَّصريفِ ، مقدِّمتِه (نُزهة الطَّرف) ، فصارت تصانيفُه متكاملةً ، يرشدُ بعضُها إلىٰ بعضٍ ، ويعينُ بعضٌ بعضًا ، ولٰكنَّ (نزهةَ الطَّرفِ) له لم تُعتمَدْ في الدَّرسِ – في ما أعرفُ – ، فبقيَتْ تلك الأبوابُ معلَّقةً ، يجدُ الدَّارسُ فيها عنَتًا . ودرسُ التَّصريفِ – قبل ذٰلك – يشكو نقصًا كبيرًا ، وقلَّةَ احتفالٍ ، مُنذ القديمِ .

❊ ❊ ❊

هٰذا الَّذي وجدتُّ لك ، وأقولُه وأسعىٰ إليه ؛ لأنَّ معرفةَ مراتبِ الكتبِ ومنازلِ النَّاسِ : ممَّا يعينُ على التَّحصيلِ ، ويقوِّي الرَّغبةَ ، ويضع القدمَ على الطَّريق .

وأنا – في ما أذكرُ لك هٰهنا – في ذيل الرَّكب ، وآخرِ المسيرِ – وحقًّا أقولُ – ، وما كان ينبغي أن يُعبأَ بمَن هٰـذه حالُه أو يُلتفَتَ إليه ، وما كنتُ أرجو يومًا أن أتقلَّـدَ

هٰذا المنصبَ ، أو أصيرَ في حِماه ! ولٰكن ! هي الدُّنيا !

وكنتَ رسمتَ في سؤالِك ما يُنصحُ به لِمَن حفِظ شيئًا مِن متونِ العلمِ ، وتركتُ الكلامَ في ذٰلك خشيةً مِن الطُّول ، وقد أُجبتَ فيه ؛ فخذ الكتابَ بقوَّة، ومجملُ ذٰلك في ما قالَ الشَّنقيطيُّ :

كتْبٌ إجازةٌ وحِفـظُ الرَّسْمِ قِراءةٌ تدريـسٌ ٱخْـذُ العلمِ
ومَن يقدِّمْ رُتبـةً على المحَلْ مِن ذي المراتبِ المرامَ لم يَنَلْ

وقد قام في هٰذا الموضعِ مِن الحِلَقِ ؛ مِن أسواقِ الكتبِ ، ومراتبِ المصنِّفين : ما فيه كلُّ عِلْقٍ نفيسٍ ، وما يغادرُ كلَّ لُعَاعةٍ أو لُفاظةٍ ، فأنت تَتَبَّعُ ما ينفعُك إن شاء الله .

والله أعلمُ .

والسَّلامُ .

* * *

تأملات بلاغيّة

في آيات قرآنية

عائشة

مقال مستل من حلقة البلاغة والنقد

تأمُّلاتٌ بلاغيَّة

فِي آياتٍ قرآنيَّة

❊ قالَ اللهُ تعالَى :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النِّساء : ٥٩]

قالَ الإمامُ ابنُ قيِّمِ الجوزيَّةِ رحمه الله : « وقد أجمعَ النَّاسُ على أنَّ الرَّدَّ إلى الله هو الرَّدُّ إلى كتابِه ، والرَّدُّ إلى الرَّسولِ ﷺ هو الرَّدُّ إليه في حياتِه ، وإلى سُنَّتِه ﷺ بعدَ مماتِه ، فأمَرَ سُبحانَه عبادَه المُؤمنينَ أن يرُدُّوا ما تنازَعوا فيه إليهِ وإلى رسولِه ﷺ ، وخاطَبَهُم - أوَّلًا - بلفظِ الإيمانِ ، ثُمَّ جعَل - آخرًا - الإيمانَ شرطًا في هذا الرَّدِّ ، فالإيمانُ يُوجِبُ عليهم هذا الرَّدَّ ، وينتفي عندَ انتفائِه ، فَمَن لَّمْ يَرُدَّ ما تنازَعَ فيه هو وغيرُه إلى الله ورسولِه ﷺ ؛ لَمْ يَكُن مُّؤمِنًا .

وتأمَّلْ قولَه : ﴿ أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ : كيف أعادَ الفِعْلَ – وهو طاعةُ الرَّسولِ ﷺ – ؛ ليدُلَّ أنَّه ﷺ يُطاعُ استِقلالًا ، وإنْ أمَرَ بِما لَيْسَ في القرآنِ الأمرُ به ، ونهى عمَّا ليس في القرآنِ النَّهيُ عنه ؛ فإنَّه ﷺ أُوتِيَ الكتابَ ومثلَه معه . ولَمْ يُعِدِ الفِعْلَ في طاعةِ أُولي الأمرِ ، بل جَعَلَها ضِمْنًا وتَبَعًا لطاعةِ الرَّسولِ ﷺ ؛ فإنَّهم إنَّما يُطاعونَ تَبَعًا لطاعةِ الرَّسولِ ﷺ إذا أمَروا بما أمَرَ به ، ونَهَوْا عمَّا نهى عنه ، لا تَجِبُ طاعتُهم في كلِّ أمرٍ يأمُرونَ به وينْهَوْنَ عنه .

ثُمَّ قالَ : ﴿ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ ﴾ ، ولَمْ يَقُلْ : « وإلى الرَّسولِ » ؛ إعلامًا بأنَّ ما رُدَّ إلى الله ؛ فقد رُدَّ إلى رسولِه ﷺ ، وما رُدَّ إلى رسولِه ﷺ ؛ فقد رُدَّ إليه سبحانَه ، وأنَّ ما حَكَم به ؛ فقد حَكَم به رسولُه ﷺ ، وما حَكَم به رسولُه ﷺ ؛ فهو حُكْمُه سبحانَه .

وقالَ : ﴿ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ : وهذا يَعُمُّ دقيقَ ما تنازعَ فيه المُسلمون وجليلَه ، لا يَخُصُّ شيئًا دونَ شيءٍ ، فَمَن ظَنَّ أنَّ هذا في شرائعِ الإسلام دونَ حقائقِ الإيمانِ ، وفي أعمالِ الجوارحِ دونَ أعمالِ القلوبِ وأذواقِها ومواجيدِها ، أو في فروعِ الدِّينِ دونَ أصولِه وبابِ الأسماءِ والصِّفاتِ والتَّوحيدِ ؛ فقد خَرَجَ عن موجبِ الآية ، علمًا وعملًا وإيمانًا .

بل كما أنَّ رسالتَه ﷺ عامَّةٌ إلى كُلِّ مُكلَّفٍ في كُلِّ وقتٍ ؛ فهي عامَّة في كُلِّ حُكمٍ مِنْ أحكامِ الدِّين ؛ أصولِه وفروعِه ، حقائقِه وشرائعِه . فَمَنْ أخرَجَ حُكمًا مِّنْ أحكامِ الدِّين عَنْ عُمومِ رسالتِه ؛ فهو كَمَنْ أخرَجَ محكومًا عليهِ من المُكلَّفينَ عن عمومِ رسالتِه ؛ فهذا في البُطلانِ كهذا » اهـ(١)

* * *

* قالَ اللهُ تعالَى :

﴿ هَلْ أَتَـٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ الْمُكْرَمِينَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَـٰمًـا قَالَ سَلَـٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ * فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ * فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ * ﴾ [الذاريات : ٢٤-٢٧]

قالَ الإمـامُ ابنُ القـيِّمِ رحمه الله : « وتأمَّلْ ثناءَ الله سبحـانَه عليه في إكرامِ ضيـفِه [من] الملائكة ، حيثُ يقولُ سبحانَه : ﴿ هَلْ أَتَـٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ الْمُكْرَمِينَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَـٰمًـا قَالَ سَلَـٰمٌ قَوْمٌ مُّنـكَرُونَ * فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَـآءَ بِعِجْلٍ

---

(١) (كشفُ الغطاءِ عن حُكمِ سَماعِ الغِناء – ص ٥١ ، ٥٢) ، مكتبة السُّنَّة / القاهرة ، ط : الأُولى ، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م .

سَمِينٍ * فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ * ﴾ ففي هذا ثناءٌ علَى إبراهيمَ مِن وُجوهٍ متعدِّدةٍ :

- أحدُها : أنَّه وَصَفَ ضيفَه بأنَّهم مُكرَمون ، وهذا :

١. – على أحدِ القولَيْنِ – أنَّه إكرامُ إبراهيمَ [عليه السَّلامُ لهم] .

٢. والثَّاني : أنَّهم المكرَمونَ عندَ الله سُبحانَه .

ولا تنافيَ بين القولَينِ ؛ فالآية تدلُّ على المعنيَيْنِ .

- الثَّاني : قولُه : ﴿ إِذْ دَخَلوا عَلَيْهِ ﴾ ،فلم يذكُر استِئذانَهم ؛ ففي هذا دليلٌ على أنَّه ﷺ كان قد عُرِفَ بإكرامِ الضِّيفانِ ، واعتيادِ قِراهم ، فبقيَ مَنزِلُه مضيفةً ، مطروقًا لمن وَرَدَه ، لا يحتاجُ إلى الاستِئذانِ ؛ بل استِئذانُ الدَّاخلِ دُخولُه ، وهذا غايةُ ما يكونُ من الكَرَم .

- الثَّالث : قولُه : ﴿ سَلَـٰمٌ ﴾ بالرَّفعِ ، وهم سَلَّموا عليه بالنَّصْبِ . والسَّلامُ بالرَّفع أكملُ ؛ فإنَّه يدلُّ على الجملةِ الاسميَّة الدَّالَّةِ على الثُّبوتِ ، (وعدمِ التجدُّد) ، والمنصوبُ يدلُّ على الفِعليَّةِ الدَّالَّةِ على الحدوثِ ، والتَّجدُّدِ ، فإبراهيمُ حيَّاهم بتحيَّةٍ أحسنَ من تحيَّتِهم ؛ فإنَّ قولَهم : ﴿ سَلَـٰمًا ﴾ (يدلُّ على : سلَّمْنا سَلامًا) ، وقوله : ﴿ سَلَـٰمٌ ﴾ ؛ أي : سَلامٌ عليكم .

- الرَّابعُ : أنَّه حذَفَ الـمبتدأَ من قولِه : ﴿ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴾ ، فإنَّه لَـمَّـا أنكرَهم ، ولَمْ يعرِفْهم ؛ احتشمَ مِن مُواجهَتِـهم بلفظٍ يُنفِّر الضَّيفَ لو قالَ : أنتم قومٌ منكَرونَ ، فحذْفُ المبتدأِ هُنا مِنْ ألطفِ الكلامِ .
- الخامسُ : أنَّه بنَى الفعلَ للمفعولِ ، وحذَفَ فاعلَه ، فقالَ : ﴿ مُنكَرُونَ ﴾ ، ولم يقلْ : إنِّي أُنكِرُكُم ، وهو أحسنُ في هذا المقامِ ، وأبعدُ من التَّنفيرِ ، والمواجهةِ بالخُشونةِ .
- السَّادسُ : أنَّه راغَ إلى أهلِه ؛ ليُحييهم بنُزُلـهم ، والرَّوَغانُ : هو الذَّهاب في اختفاءٍ ؛ بحيثُ لا يكادُ يشعرُ به [الضَّيفُ] ، وهذا من كرمِ ربِّ المنزلِ المضيف ؛ أن يذهب في اختفاءٍ ؛ بحيثُ لا يشعرُ به الضَّيفُ ، فيشقّ عليه ، ويستحي ، فلا يشعرُ به إلاَّ وقد جاءَه بالطَّعامِ ، بخلافِ من يُسمِع ضيفَه ، ويقولُ له ، أو لِمَن حضرَ : مكانَكم حتَّى آتيكم بالطَّعامِ ، ونحو ذلك مِمَّا يُوجِب حياءَ الضَّيف ، واحتشامَه .
- السَّابعُ : أنَّه ذهبَ ﴿ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ ﴾ ، فجاءَ بالضِّيافةِ ، فدلَّ على أنَّ ذلك كانَ مُعَدًّا عندَهم ، مُهَيَّأً للضِّيفان ، ولَمْ يَحْتَجْ (أن يذهبَ) إلى غيرِهم من جيرانِه ، أو غيرهم ؛ فيشتريَه ، أو يستقرضَه .
- الثَّامنُ : قولُه : ﴿ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴾ دلَّ على خدمتِه للضَّيفِ بنفسِه ،

ولَـمْ يَقُلْ : فأمرَ لهم ؛ بل هو الَّذي ذهبَ ، وجاء به بنفسِه ، ولم يبعثْه مع خادمِه ، وهذا أبلغُ في إكرامِ الضَّيفِ .

- التَّاسعُ : أنَّه جاء ﴿ بعِجْلٍ ﴾ كاملٍ ، ولـم يأتِ ببعضٍ منه ، وهذا مِن تـمـامِ كَرَمِه ﷺ .
- العاشرُ : أنَّه سَمينٌ لا هزيلٌ ، ومعلومٌ أنَّ ذلك مِن أفخرِ أموالِهم ، ومثلُه يُتَّخَذُ للاقتناءِ ، والتَّربيةِ ، فآثَرَ به ضِيفانَه .
- الحاديَ عشرَ : أنَّه قرَّبه (إلَيهِم) بنفسِه ، (ولَـمْ) يأمرْ خادمَه بذلك .
- الثَّانيَ عشرَ : أنَّه قرَّبه إليهم ، ولَمْ يُقرِّبْهم إليه ، وهذا أبلغُ في الكرامةِ ؛ أن تُجلسَ الضَّيفَ ، ثم تُقرِّب الطَّعامَ إليه ، وتحمـلَه إلى حضرتِه ، ولا تضعَ الطَّعام في ناحيةٍ ، ثم تأمرَ ضيفَك بأن يتقرَّبَ إليه .
- الثَّالثَ عشرَ : أنَّه قالَ : ﴿ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴾ ، وهذا عَرضٌ ، وتلطُّفٌ في القَوْلِ ، وهو أحسنُ مِن قولِه : كُلوا ، أو مُدُّوا أيديَكم ، ونحوِها ، وهذا مِمَّا يعلمُ النَّاسُ بعقولِهم حُسنَه ، ولطفَه ؛ ولهذا يقولونَ : باسمِ الله ، أو ألا تتصدَّق ! أو ألا تجبر ! ونحوَ ذلك .
- الرَّابعَ عشرَ : أنَّه إنَّما عَرَضَ عليهم الأَكلَ ؛ لأنَّه رآهم لا يأكلونَ ، ولَمْ يكن ضيوفُه يحتاجونَ معه إلى الإذنِ في الأكلِ ؛ بل كان إذا قُدِّم إليهم الطَّعامُ ؛ أكَلوا ، وهؤلاءِ

الضُّيوفُ لَـمَّـا امتنعوا مِن الأكلِ ؛ قالَ لهم : ألا تأكلونَ ! ولهذا : أَوْجسَ منهُم خِيفةً ؛ أي : أحسَّها ، وأضمرَها في نفسِه ، ولَمْ يُبْدِها لهم ، وهو الوجهُ .

- الخامسَ عشرَ : فإنَّهم لَـمَّا امتنعوا من الأكلِ لطعامِه ؛ خافَ منهم ، ولَمْ يُظهِرْ لهم ، فلمَّا علمتِ الملائكةُ منه ذلك ؛ قالوا : لا تَخَفْ ! وبشَّروه بالغُلامِ .

فقد جمعتْ هذه الآيةُ آدابَ الضِّيافةِ الَّتي هي أشرفُ الآدابِ ، وما عداها مِن التَّكلُّفات - التي هي تخلُّفٌ ، وتكلُّفٌ ؛ - إنَّما هي مِن أوضاعِ النَّاسِ ، وعوائدِهم ، وكفَى بهذه الآدابِ شرفًا ، وفخرًا ، فصلَّى الله على نبيِّنا ، وعلَى إبراهيمَ ، وعلى آلهِما ، وعلَى سائرِ النبيِّينَ » اهـ[٢]

❋ ❋ ❋

(٢) (جلاءُ الأفهامِ ٣٩٤ – ٣٩٧) ، تح : مشهور آل سلمان ، ط : دار ابن الجوزي .

* قالَ اللهُ تعالَى :

﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ * ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ * نَحْنُ جَعَلْنَـٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَـٰعًا لِّلْمُقْوِينَ * ﴾ [الواقعة : ٧١-٧٣]

لِـمَ خصَّ (المقوين) بالذِّكْرِ ؟

المقصودُ بـ (الْمُقْوِينَ) – علَى قولِ أكثرِ المفسِّرينَ – : الْمُسافِرونَ ؛ مِنْ (أَقْوَى) إذا نَزَلَ بالقواءِ ؛ أي : الأرضِ الخاليةِ ؛ كـ (أَصْحَرَ) إذا دَخَل الصَّحْرَاء .

والنَّارُ يحتاجُ إليها الْمُسافِرُ والمقيمُ ؛ ولكنْ : خُصَّ الْمُسافرونَ بالذِّكْرِ ؛ لأنَّهم إليها أحوجُ ، جاءَ في (معالمِ التَّنزيلِ) للإمامِ البغويِّ رحمه الله : « والمعنَى : أنَّه ينتفِعُ بها أهلُ البَوادي والأسفارِ ؛ فإنَّ منفعتَهم بها أكثرُ من منفعةِ المقيمِ ؛ وذلك أنَّهم يوقِدونَها ليلًا ؛ لتَهرُبَ منهم السِّباعُ ، ويهتدي بها الضُّلَّالُ ، وغير ذلك مِنَ المنافِعِ » اهـ[٣]

وقد ذَكَرَ هذا السَّبَبَ عددٌ من المفسِّرينَ . ولكنَّ الإمامَ ابنَ قيِّمِ الجوزيَّةِ رحمه الله يذكُرُ سببًا آخَرَ ؛ يقـولُ : « وخصَّ (الـمُقْوِينَ) بالذِّكْرِ – وإن كانَتْ منفعـتُها عامَّـةً

(٢) (معالمُ التَّنزيل – ص١٢٧٢) ، ط : دار ابن حزم .

للمُسافرينَ والمقيمينَ - ؛ تنبيهًا لعبادِهِ - واللهُ أعلمُ بمُرادِه من كلامِه - علَى أنَّهم كلَّهم مسافِرون ، وأنَّهم في هذه الدَّارِ علَى جَناحِ سفرٍ ، ليسوا مُقيمينَ ولا مُستوطِنِينَ ، وأنَّهم عابرو سَبيلٍ ، وأبناءُ سَفرٍ » اهـ(٤)

وقالَ الشَّيخُ عبدُ الرَّحمن السَّعديُّ رحمه الله في تَفسيرِه : « وخصَّ اللهُ المسافرينَ ؛ لأنَّ نفعَ المُسافرِ بذلكَ أعظمُ من غيرِه . ولعلَّ السَّببَ في ذلك ؛ لأنَّ الدُّنيا كلَّها دارُ سفرٍ ، والعبدُ من حينَ وُلِدَ ؛ فهو مُسافِرٌ إلى ربِّهِ . فهذه النَّارُ جعلَها اللهُ متاعًا للمُسافرينَ في هذه الدَّارِ ، وتَذكرةً لهم بدارِ القرارِ » اهـ(٥)

❊ ❊ ❊

(٤) (طريقُ الهجرتَين- ص ٢٩٩) ، ط : دار عالم الفَوائد .

(٥) (تيسيرُ الكريمِ الرَّحمن- ص ٨٣٥) ، ط : مؤسَّسة الرسالة .

❋ قالَ اللهُ تعالَى :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ الله وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَـٰٓئِكَ هُمُ الْخَـٰسِرُونَ ❋ ﴾ [المنافقون : ٩]

جاءَ في (جامعِ العُلوم والحِكَم) للحافظِ ابنِ رَجَبٍ رحمه الله : « اللهُ تعالى وَصَف المنافِقين بأنَّهم لا يذكُرُون اللهَ إلاَّ قليلاً ، فَمَنْ أَكْثَرَ ذِكْرَ الله ؛ فَقَدْ بايَنَهُم في أوصافِهِم ؛ ولهذا : خُتِمَتْ سورةُ المنافقينَ بالأمرِ بذكرِ الله ، وأنْ لا يُلْهيَ المؤمِنَ عن ذلكَ مالٌ ولا وَلَدٌ ، وأنَّ مَنْ ألهاهُ ذلكَ عَن ذِكْرِ الله ؛ فهو مِنَ الخاسِرين » اهـ [٧]

وقال العلاَّمةُ الشَّوكانيُّ رحمه الله : « لـمَّا ذَكَر سبحانه قبائحَ المنافقينَ ؛ رَجَعَ إلى خطابِ المؤمِنين ؛ مُرغِّبًا لَهُمْ في ذِكْرِه ؛ فقال : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ الله ﴾ ، فحذَّرَهُمْ عَنْ أخلاقِ المنافِقين ؛ الَّذين ألْهَتْهُمْ أموالُهم وأولادُهم عن ذكرِ الله » اهـ [٨]

❋ ❋ ❋

---

(٧) (جامعُ العُلوم والحِكَم : ٢/ ٥١٦) ، ط . مؤسَّسة الرسالة .

(٨) (فتحُ القديرِ : ٥/ ٣١٠) ، ط . دار الوَفاء .

علل همزة الوصل

فيصل المنصور

مقال مستل من حلقة العروض والإملاء

عِللُ هَمزةِ الوَصلِ

زادتِ العربُ في كلامِها هذه الهمزةَ ، لعللٍ ثلاثٍ ؛ هي :

*** الأولى : التوصُّلُ إلى النُّطقِ بالسَّاكنِ :**

وذلك أنَّ مِن الكلمِ كلِمًا أوَّلُها حرفٌ ساكِنٌ لعللٍ - يأتي ذكرُها - . ولـمَّا كانتِ العربُ لا تبتدئ بساكنٍ ، اجتلبت همزةً متحرِّكةً ، لتتوصَّلَ بها إلى النُّطقِ بالسَّاكنِ . فإذا ابتدأتْ بكلامٍ قبلَها ، حذفتْها ، لزوالِ الغرضِ منها . وهذا من لطيفِ حكمتِها ، وسلامةِ عِلَلِها .

ويطَّرِدُ هذا في موضعَينِ :

- الأوَّلُ : أمرُ الفِعل الثلاثيِّ ؛ نحو : (اُكتُبْ) ، وماضي الفِعل الخماسيِّ ، والسُّداسيِّ ، وأمرُهما ، ومصدرُهما :
  - فالخماسيُّ نحوُ : (انطلقَ ، انطلِقْ ، انطِلاق) .
  - والسُّداسيُّ نحوُ : (استغفرَ ، استغفرْ ، استغفار) .

وحِسابُ الحروفِ إنَّمـا هو للماضي ؛ فـ (اكتبْ) ثلاثيَّةٌ ، لا رباعيَّةٌ ، لأنَّ ماضيَها (كتبَ) .

فلمَّـا سكنت أوائلُ هذه الأفعالِ ، احتاجوا إلى همزةِ وصلٍ قبلَها .

فإن قلتَ :

١. كانَ يُمكِنهم أن يفتحوا أوائلَها ؛ فيستغنوا عن اجتلابِ همزةِ وصلٍ لها ؛ فيقولوا مثلًا : (نَطَلَقَ) في (اِنطلقَ) .

٢. وكانَ يُمكِنُهم أيضًا أن يجعلوا همزةَ الوصلِ همزةَ قطعٍ ، كما فعلوا في الرباعيِّ ، مثلِ : (أكرمَ) ؟

قلتُ :

١. إنَّمـا صَدفُوا عن الفتحِ :

- فرارًا من ثِقَل تَوالي أربعِ حركاتٍ في الخمـاسيِّ ؛ نحو : (نَطَلَقَ) .
- وكراهيةً لاجتماعِ أربعِ حركاتٍ بينها ساكنٌ في الصَّحيحِ اجتماعًا لا يبرَحُ في السُّداسيِّ ، خِلافًا للمَبدوءِ بتاءِ المطاوعةِ ؛ نحوِ (تَباعدَ) ، و (تَقطَّعَ) ؛ فإنَّهما بناءانِ فرعيَّانِ ؛ أصلُهما (باعدَ) ، و (قطَّعَ) .

٢. وأمَّا : لِـمَ لَـمْ يجعلوها همزةَ قطعٍ ؟ فذلك أنَّهم لو جعلوها كذلكَ ، لكانَ يجِبُ أن تُفيدَ معانيَ ، كالتَّعديةِ ، والاعتـقادِ ، وغيرِها . وهذا مُناقِضٌ للمعاني

التي تُفيدُها صيغتا الخماسيِّ ، والسُّداسيِّ ، كالمطاوعةِ في نحوِ : (انطلقَ) ، والطَّلبِ في نحوِ : (استغفرَ) .

وإذا ثبتَ وجهُ العلَّةِ في ماضي الخماسيِّ ، والسُّداسيِّ ، فاعلمْ أنَّ الأمرَ منهما ، والمصدرَ محمولٌ عليهما . وذلكَ أنَّ القاعدةَ توجِب اشتقاقَ فعلِ الأمرِ من المضارعِ بحذفِ ياء المضارَعةِ ؛ فإذا أردنا أن نصوغَ الأمرَ من (ينْطلِقُ) حذفْنا ياءَ المضارَعةِ ؛ فتُصبحُ الكلمةُ (نْطَلِقْ) ساكنةَ الأوَّلِ ؛ فنَجتلِبُ لهما همزةَ وصلٍ . ومثلُ هذا أمرُ السُّداسيِّ ، وأمرُ الثُّلاثيِّ . أمَّا المصدَرُ ، فمن شأنِهم أن يُعِلُّوه بإعلالِ الفعلِ ، كما قالوا : « لذتُ لِياذًا » .

- الثاني : الألفاظُ المحكيَّةُ – أي : التي يُراد كتابتُها كما تُنطَق – إذا كان أوَّلُها ساكنًا ، كحكايتكَ لفظَ (اِمْحمَّد) في كلامِ العامَّةِ ، وكلمةَ (اِقْرُوب) (group) في الإنجليزيةِ مثلًا . وإن شئتَ حذفتَ همزةَ الوصلِ ، وحكيتَها مُبتدأةً بساكنٍ ، لأنَّ الصَّحيحَ أنَّ الابتداءَ بساكنٍ ممكنٌ في الواقعِ . وهو كثيرٌ في اللُّغاتِ الأعجميَّةِ .

❋ ❋ ❋

❋ العلَّةُ الثانيةُ : التَّعويضُ عن المحذوفِ :

وذلكَ أنَّ في العربيَّةِ كلمـــاتٍ حَذفت العربُ منها حرفًا للتَّخفيفِ ؛ فبقيتْ على

حرفَينِ ؛ فأرادت أن تعوِّضَ عن هذا الحرفِ المحذوفِ حرفًا آخرَ ، فلم تشأْ أن يكونَ العِوضُ في درجةِ المعوَّضِ عنه ؛ فاختارتْ همزةَ الوصلِ في نحوِ : (اِسم) ، لأنَّها تُنطَق في البدءِ ، وتُحذَف في الوصلِ . ولهذا نظائرُ :

١. منها : أنَّها عوَّضتْ بالتاءِ المربوطة في نحوِ : (عِدة) ، لأنها ترجعُ في الوقفِ هاءً ، والهاءُ حرفٌ خفيٌّ مهموسٌ يُشبِه الألفَ .

٢. ومنها : أنَّها جمعتْ بعضَ ما حُذِف منه حرفٌ جمعَ مذكَّرٍ سالمًا ابتغاءَ التَّعويضِ ، كما في نحوِ : (سنون) ، و (عِضون) ، لأنَّ الجمعَ طارئٌ .

٣. ومنها : أنَّها أشبعت حركاتِ الأسماء الستَّةِ - وِفاقًا للمازنيِّ - إذا أضيفتْ - إلى غيرِ ياءِ المتكلِّم - ، لأنَّ الإضافةَ شيءٌ عارِضٌ .

٤. ومنها : أنَّها عوَّضت عن المحذوفِ بالتَّضعيفِ ، كما في (دمّ) ، و (أبّ) ، و (أخّ) ، و (فمّ) في لغةٍ ، لأنَّه يُحذفُ في الوقفِ . كلُّ ذلك لكي لا يكونَ العِوضُ في درجةِ المعوَّضِ عنه . وهذا سرٌّ لطيفٌ لم أجِد أحدًا أشارَ إليهِ !

فإذا تبيَّن لك أنَّ من عللِ اجتلابِ همزةِ الوصلِ طلبَ التَّعويضِ ، فاعلمْ أنَّ ذلكَ محصورٌ في أسماءٍ تسعةٍ ؛ وهي : (اسم ، واست ، وابن ، وابنة ، وابنم ، وامرؤ ، وامرأة ، واثنان ، واثنتان) .

فإن قلتَ :

قد علمنا أنَّ (اسم ، واست ، وابن ، وابنة ، وابنم ، واثنان ، واثنتان) محذوفة اللامِ ؛ فنحتمِلُ فيها دَعوى كونِ الهمزةِ للتعويضِ ؛ ولكنَّ (امرؤ) ، و(امرأة) لم يُحذفْ من أصولِها شيءٌ ؛ فكيفَ زعمتَ أنَّ الهمزةَ فيهما للتَّعويضِ ؟

قلتُ :

١ . أمَّا (امرؤ) ، فتوجيهُه أن نقولَ : إنَّ أصلَه (مرْءٌ) – وهو مُستعمَلٌ – ؛ فتصرَّفوا فيهِ كما تصرَّفوا في غيرِهِ ؛ فحذفوا اللَّامَ ؛ فقالوا : (مَرٌ) – وهو مَسموعٌ – ؛ فلمَّا حذفوا اللَّامَ أرادوا التَّعويضَ ، كما عوَّضوا في (اسم) ؛ فزادوا في أوَّلِهِ همزةَ وصلٍ ، وأعادوا المحذوفَ معًا ؛ فصارَ (امْرؤ) . وهم ممَّا يفعلُون ذلكَ ، كما قالَ النَّابغةُ – وهو مِن شَواهدِ سِيبويهِ – :

* كِليني لِـهَمٍّ يا أُميمةَ ناصبِ *

فغيَّروا الأصلَ ؛ وذلكَ بالحذفِ ، ثمَّ بنوا على التغييرِ حُكمًا ؛ إذْ زادوا همزةَ الوصلِ ؛ فلمَّا راجعوا الأصلَ بردِّ المحذوفِ لم يغيِّروا الحُكمَ المنبنيَ على التَّغييرِ ؛ وهو زيادةُ الهمزةِ ؛ أي : أنَّ العلَّةَ زالتْ ، وبقيَ الحُكمُ . وآيةٌ أخرَى على ذلكَ أنَّ عينَه تَتبعَ لامَه في الإعرابِ ؛ تقولُ : « هذا امرُؤٌ » ، و « رأيـتُ امرَأً » ، و « مَررتُ

بِامرِئٍ » ، لأنَّ العينَ قبلَ استعادةِ المحذوفِ كانت هي محلَّ الإعرابِ .

فإن قلتَ :

إنَّه لم يبلُغْنا عنهم أنَّهم قالوا : (امْرٌ) ؛ فكيف تَزعمُ أنَّها كانتْ كذلك ، ثمَّ راجعوا الأصلَ ؛ فقالوا : (امْرؤ) ؟

قلتُ :

ليس كلُّ تَغييرٍ صرفيٍّ ينبغي أن يكونَ استعملـتْه العربُ ؛ ألا ترَى أنك تدَّعي في (خطايا) ونحوِها تغييراتٍ أفضتْ إليها معَ أنَّ العربَ لم تَستعملْها . وإنما أدَّاك إلى هذا قياسُك على أصولِ العربِ ومقاصدِها التي تنحُو إليها في كلامِها .

٢. أمَّا (امرَأَة) : فإنَّما هي (امرَأ) بزيادةِ تاء التَّأنيثِ . فلمَّا فتحُوا الهمزةَ لأجلِ تاء التَّأنيثِ أتبعُوا الراءَ حركتَها ؛ ففتحوها للعلَّةِ التي تقدَّمَ بيانُها .

واعلمْ أنَّك :

- إذا ثنَّيتَ ما يجوزُ تثنيتُه من هذه الأسماء التِّسعةِ ، أو زدتَّ في آخرِهِ ياءَ النسَبِ ، فإنَّ همزتَه تبقَى همزةَ وصلٍ ؛ تقولُ : (هذا اسمانِ ، وابنانِ ...) ، و (الجملة الاسمية) .
- فإذا جمعتَ أحدَها جمعَ تكسيرٍ رددتَّ المحذوفَ ، وحذفتَ همزةَ الوصلِ ، وزدتَّ

في اللَّفـظِ الأحرفَ التي يقتضيها الجمعُ ، لأنَّ جمعَ التَّكسيرِ يرُدُّ الأشياءَ إلى أصولِها ؛ نحو (الأسماء) ، و (الأبناء) ؛ فقد جعلتَها (سمو) ، و (بنو) ، ثمَّ صُغتَها على (أفعالٍ) ؛ فأصبحتْ (أسماو) ، (أبناو) ؛ فأُبدلت الواوُ همزةً لتطرُّفِها بعد ألفٍ زائدةٍ ؛ فأضحتْ (أسمـاء) ، و (أبناء) ؛ فالهمزةُ إذًا همزةُ الجمعِ ، لا همزةُ الوصلِ .

❊ ❊ ❊

❊ العلَّةُ الثالثةُ : كَثرةُ الاستعمالِ :

ويطَّردُ ذلك في موضعَينِ:

- الأوَّلُ : حرفُ التَّعـريفِ (أل) ، ويعاقِـبُه (أَمْ) في لغـة طيِّئ وحِـمـير ؛ تقولُ : (الكِتاب) ، و (الرَّجل) ، وفي الحديثِ : « ليس من امبرِّ امصيامُ في امسفرِ » .[1]

---

(١) الحديثُ بهذا اللفظِ ضعيفٌ ، قال الألبانيُّ رحمه الله تعالى في (السِّلسلة الضَّعيفة ٣/ ٢٦٤) : « شاذٌّ بهذا اللفظِ . أخرجه أحمد (٥/ ٤٣٤) عن معمر عن الزُّهري ... عن كعبِ بن عاصم الأشعريِّ ... وهذا إسنادٌ ظاهرهُ الصحَّةُ ، رجالُه كلهم ثقاتٌ رجالُ مسلمٍ ، وعلَّتُه الشُّذوذُ ومخالفةُ الجمـاعةِ . فقد قالَ أحمدُ أيضًا : حدَّثنا سفيان عن الزُّهري به بلفظ : « لَيسَ مِن البرِّ الصيامُ في السَّفرِ » . وتابعه عليه ابن جريج ويونس ومحمَّد ابن أبي حفصة والزبيـدي كلُّهم روَوهُ عن الزُّهري بلفظِ سفيانَ ، وتابعهم معمرٌ نفسه عند البيهقيِّ و قال : =

وذلكَ أنَّ الصَّوابَ أنَّ أصلَها (أل) بالقطعِ ، مثلُ (هلْ) - وِفاقًا لابنِ كيسانَ - ؛ فلمَّا كانت ممَّا يكثرُ استعمالُها في كلامِهم جعلوا همزتَها همزةَ وصلٍ ، ليكونَ أخفَّ عليهِم .

١. يشهَدُ لذلكَ : أنَّهم أظهروها في بعضِ الألفاظِ ، كلَفظِ الجَلالةِ في النِّداءِ (يا أللهُ) ، والقَسمِ (أأللهِ) . وظهورُها في بعضِ المسموعِ دليلٌ على الأصلِ المتروكِ .

ولا يُقالُ : إنَّها همزةُ وصلٍ قُطعتْ . لأنَّ ذلك شاذٌّ ؛ ألا ترَى أنَّه لو صَحَّ ذلكَ ، لبلغَنا في الأفعالِ المبدوءَةِ بهمزةِ وصلٍ ، ومصادرِها شواهدُ في قطعِها . ولم يبلُغنا إلَّا في ضرورةِ الشِّعرِ .

٢. ويشهدُ له أيضًا أنَّهم فتَحوا الهمزةَ . ولو كانت همزةَ وصلٍ ، لكانَ القياسُ كسرَها .

ثمَّ ليس ببدعٍ أن يُخفَّفَ اللَّفظُ لكثرةِ استِعمالِهِ ؛ ألا تراهم حذفوا نونَ

= « وهو المحفوظُ عنه صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ » اهـ وإنَّ مما يؤكِّدُ وهمَ معمر في هذا اللَّفظِ الذي شذَّ به عن الجماعةِ أنَّ الحديثَ قد وردَ عن جماعةٍ آخرينَ من الصَّحابةِ ... من طرقٍ كثيرةٍ ، وكلها أجمعت على رِوايتِه باللَّفظ الثاني الذي رواه الجماعةُ ... وإنَّما عُنيت هنا عنايةً خاصَّةً لبيانِ ضعفِ الحديثِ بهذا اللَّفظِ لشُهرتِه عندَ علماءِ اللُّغةِ والأدبِ » اهـ (هيئة التَّحرير)

(لم يكن) ، وياء (لا أدري) ، ونونَ (مِن) في لغةٍ ؛ فلَأَن يحذِفوا الهمزةَ وهي حرفٌ واحدٌ ، في الوصلِ فقط أهونُ عليهم ، وأيسرُ .

أمَّا كتابةُ بعضُ الـمتأخِّرينَ (البتَّة) هكذا (ألبتَّة) ، وزعمُهم أنَّ الوجهَ فيها القطعُ = فخطأٌ مـحضٌ ، ناشئٌ عن وهمٍ . وليس لِـمـا يدَّعون شاهِدٌ من السَّمـاعِ ، ولا عاضدٌ من القياسِ ؛ بل القياسُ يَنفيه أشدَّ النَّفيِ . كمـا إنَّه لا يعرفُه السَّابقونَ الأوَّلونَ من العلمـاءِ . ولو عرفوه ، لذكرَه ولو واحدٌ منهم . ولعلَّ سببَ هذا الوهمِ أنَّ الذي أذاعَه قرأ في صحيـفةٍ : « البتَّة : القطعُ » – وهذا معناها اللُّغويُّ – ؛ فتوهَّمها هكذا : « البتَّة : بالقطعِ » أي : بهمزة القطعِ !

- الثَّاني : كلمة (ايمُن) في القَسمِ ، وفرعُها (ايم) بحذفِ النونِ . وذلك أنَّ أصلَ (ايمن) أنَّها جمعُ (يمين) – وِفاقًا للكوفيِّين – ؛ فلمَّا كثرَت في كلامِهم خفَّفوها ، كما خفَّفوا (أل) التَّعريفِ ؛ غيرَ أنَّ الأصلَ هنا مُستعمَلٌ ؛ فيجوزُ لكَ أن تقطعَ الهمزةَ ؛ فتقول : (أيمُن) ، و (أيم) .

١. وجوازُ قطعِ الهمزةِ شاهِدٌ على أنَّها جمعُ (يمينٍ) .

٢. وشاهدٌ آخرُ ؛ وهو فتحُ الهمزةِ .

ومـمَّا يدلُّك على كثرة دوَران القَسمِ في كلامِهم التِماسُهم التَّصرُّفَ ، والتَّخفيفَ

فيهِ ؛ فقد حذفوا فِعلَه ، واستَغنَوا عنه بأكثرَ من حَرفٍ ؛ وهي الباءُ ، والواوُ ، والتَّاءُ ، واللَّامُ ، وحذفوا خبرَه في نحوِ : « لعمركَ لأفعلنَّ » ، ولم يعتدُّوا بالقَسمِ فاصِلًا في الإضافةِ ، وبعد (إذًا) النَّاصبةِ ، وغيرها. فلَأن يحذفوا حرفًا واحدًا من جملةِ القَسمِ في الوصلِ فقط أهونُ ، وأيسرُ .

❊ ❊ ❊

حتى تعود

جزيرة العرب مروجا وأنهارا

صالح العَمْري

مقال مستل من حلقة فقه اللغة ومعانيها

« حتَّى (تعودَ)
جَزيرةُ العربِ مُروجًا وأنهارًا »

قد شاعَ في النَّاس أنَّ قولَ الرَّسولِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ : « لا تَقومُ السَّاعةُ حتَّى تَعودَ جزيرةُ العَربِ مُروجًا وأَنهارًا » يَدلُّ قَطعًا على أنَّ جزيرةَ العَربِ كانتْ في الزَّمنِ الأوَّلِ القَديمِ مُروجًا وأَنهارًا ، لأنَّ لَفظةَ (تَعودُ) مَعناها : تَرجعُ ، ولا يكادُ أحدٌ من النَّاسِ يَفهمُ منه غيرَ ذلكَ .

وكنتُ مُتابعًا للنَّاسِ في هذا مِن غيرِ تأمُّلٍ ، ثمَّ ذكرَ لي بَعضُ الإخوةِ أنَّه سمعَ الشَّيخَ ابنَ عُثيَمِين رحمه الله يقولُ – ما مَعناهُ – : لا يَلزمُ أن يكونَ مَعنَى (تَعودَ) هنا (تَرجع) ، بل ربَّما تكونُ بمَعنى (تَصير) ، فإذا كانَ مَعناها (تصير) لم يكنْ فيه دلالةٌ على أنَّ جزيرةَ العربِ كانتْ قبلَ اليومِ مُروجًا وأنهارًا !

* * *

وسألَني صاحبِي هذا : هل تَحفظُ شاهدًا مِن شِعرِ العربِ على مَجيءِ (عادَ) بمَعنى (صارَ) فأنشدتُه ما حَضرني ، ثمَّ رأيتُ بعدَ ذلكَ شواهدَ أخرى ، فمِنها :

- قولُ الخنساءِ :

ولَا أُسالِمُ قَومًا كُنـتَ حَربَهُمُ	حَتَّى تَعودَ بَياضًا جُؤنَةُ القارِ

والجُؤنَة : اسمُ اللَّونِ من الجَونِ ، كالخُضرةِ من الأخضرِ والحُمرةِ من الأحمرِ ، والمرادُ بها هنا سَوادُ القارِ ، ومعلومٌ أنَّ سوادَ القارِ لم يكن بياضًا من قبلُ ، فلا يكونُ معنى (تَعودَ) : (تَرجع) ، بل معناها هُنا : (تَصير) ، أي : حتَّى يصيرَ سوادُ القارِ بياضًا .

- وقالَ النَّابغةُ الذُّبيانيُّ :

وَاليَأسُ مِـمَّا فاتَ يُعقِبُ راحَةً	وَلـرُبَّ مَطعَـمَـةٍ تَعـودُ ذُباحَا

ولم يُردْ أنَّ المطعمةَ كانت ذُباحًا ثمَّ ترجعُ مرَّةً أخرى كذلك ، بل المرادُ : رُبَّ مطعمةٍ تصيرُ ذُباحًا .

- وقالَ ابنُ الزِّبَعْرَى :

الخَالِطـينَ فَقيرَهُـمْ بِغَنِـيِّهِمْ	حتَّى يَعودَ فَقيرُهُمْ كالكافي

كذلكَ المرادُ هنا : حتَّى يَصيرَ ، ولا يُفهَم منه أنَّ الفقيرَ كانَ غنيًّا .

- وقالَ مَعنُ بنُ أوسٍ :

ولا خَـيرَ في حِلـمٍ يَعـودُ مَذَلَّـةً إِذا الجَهلُ لم يَترُكْ لذي الحِلمِ مَعقِدا

وهذا مِثلُها .

- وقالَ بعضُهم :

هُمُ سَنُّوا الجَوائِزَ في مَعَـدٍّ فَعادَتْ سُنَّةً أُخرَى اللَّيَالي

وكذلكَ المعنَى هُنا : فصارَتْ ، ولم تكنْ سُنَّةً قبلَ ذلكَ ، يدلُّ عليه الخبرُ فإنَّهم كانوا أوَّلَ مَن ابتدَعَها ، ويدلُّ عليه قولُه : « سَنُّوا » ، فلو كانتْ مُتَّبعةً من قبلُ ما كانوا هُم الَّذي سنُّوها ، لكنَّها لم تكنْ قبلَهم ، ومعنَى « فعادَت سُنَّةً » : صارَتْ سُنَّةً بقيَّـةَ الدَّهرِ .

وشواهدُه كثيرةٌ ، والأمرُ أوضحُ مِن الإمعانِ في تطلُّبِ شواهدِه .

ولا بأسَ بنَقلِ هذا مِن (اللِّسانِ) ، قالَ : « تقولُ : عادَ الشَّيءُ يعودُ عَوْدًا ومَعادًا أَي : رَجعَ ، وقد يَرِدُ بمعنَى صارَ ، ومِنهُ حَديثُ مُعاذٍ : قالَ له النَّبيُّ ﷺ : « أَعُدْتَ فَتَّـانًـا يـا مُعـاذُ » أَي صِرتَ ، ومِنهُ حَديثُ خُزَيمةَ : « عادَ لَـها النَّقادُ مُجْرَنْثِمًـا » أَي :

صارَ ، ومنه حَديثُ كعبٍ : « وَدِدْتُ أَن هذا اللَّبَنَ يَعودُ قَطِرانًا » أَي : يَصيرُ ، فقيلَ له : لِمَ ذلكَ ؟ قالَ : « تَتَبَّعَتْ قُرَيشٌ أَذْنابَ الإِبلِ وتَرَكُوا الجماعاتِ » . » اهـ

***

فعلى هذا لا يصحُّ القَطعُ بأنَّ جزيرةَ العربِ كانت مُروجًا وأنهارًا ، بل يَحتملُ الحديثُ أنَّها كانتْ كذلكَ ، وأنَّها سترجعُ كما كانت إن جُعلَ معنى (تَعودُ) : (تَرجعُ) ، ويَحتملُ أنَّها لم تكنْ مُروجًا وأنهارًا ، لكنَّها ستَصيرُ كذلكَ إن جُعلَ معنَى (تَعودُ) : (تَصيرُ) .

والله أعلم .

***

الفصول المنتخبة

بذكر القصائد الملقبة (٢)

أحمد البخاري

مقال مستل من حلقة الأدب والأخبار

الفُصولُ الـمُنتخَبة
بذِكْرِ القَصائدِ الـمُلَقَّبة (٢)

في شِعرِنا العربيِّ الشَّامِخِ البديعِ قَصائدُ وأراجيزُ ، اشتهرتْ بين أهلِ الأدبِ بألقابٍ ، وعُرِفَتْ بنُعوتٍ ، فأحببتُ أن أَجمعَ ما وقفتُ عليهِ مِن ذلكَ . والـمُرادُ القصائدُ الـمُفرَدةُ ، لا الـمجاميعُ الشِّعريَّةُ ؛ كالـمفضَّليَّاتِ ، والأصمعيَّاتِ ، وغيرِهما .

وأرجو أن لا يـخـلُوَ هذا الحديثُ مِن فائـدةٍ ، وأن لا يَعدَمَ النَّاظـرُ فيه نَفْـعًا وعائدةً .

***

(*) أصلُ هذا المقالِ حديثٌ ابتدأَه الأستاذُ أحمدُ البخاريُّ ، وأَثراه معه جُلساء آخرونَ ، وكنَّا نَشرنا في العددِ السَّابقِ (٢٠) قصيدةً ، ونَنشرُ في هذا العددِ (١٥) قصيدةً أخرى ، (٦) ذكرَها الأستاذُ أحمد البخاريُّ ، و(٥) أوردَتْها الأستاذةُ عائشةُ ، و(٤) أخيرة للأُستاذِ صالحٍ العمْريِّ – وفَّقهُم الله – . (هيئة التَّحرير)

(٢١)

ذاتُ الأَكارِع

هي قصيدةٌ للفَرزدقِ ، يهجو بها جريرًا وبني جعفر بن كِلاب بن رَبيعة بن عامرِ بن صَعصعَة ، بعد أن هجاه ذو الأهدامِ مُتوكِّلُ بنُ عياض ، منهم ، وأوَّلها :

عَرَفتَ بأَعلى رائسِ الفَأْوِ بَعدَما مَضَتْ سَنَةٌ أَيّامُها وشُهورُها

منها في الفَخرِ :

لنا مَسجدَا الله الحرامانِ والهُدى وأَصبَحتِ الأسماءُ مِنّا كَبيرُها
إذا اجتَمعَ الأفاقُ مِن كلِّ جانبٍ إلى مَنسَكٍ كانتْ إِلَينا أُمورُها
بنَى بيتَنا باني السَّماءِ فَنالَها وفي الأَرضِ مِن بَحري تَفيضُ بُحورُها

ومنها في الهَجوِ :

ونُبِّئتُ أَشقى جَعفرٍ هاجَ شِقْوةً علَيها كَما أَشقَى ثمودَ مُبيرُها
تُريحُ المخازي جَعفرٌ كلَّ لَيلةٍ علَيها وتَغدو حينَ يَغدو بُكورُها

وختَمها بقولِه :

فإنْ تـكُ قـيسٌ قَدَّمَـتْـكَ لنَـصرِها فَقـدْ خَـزيَتْ قَيـسٌ وذَلَّ نَصـيرُها

قال أَحمدُ بن عُبيد في (شرحِ نقائضِ جريرٍ والفرزدقِ - ص :٦٨٠) : « هذه القَصيدةُ يقالُ لها ذاتُ الأكارعِ ، و هي من جَيِّد شعرِه ، و دمَغَ بها قيسًا » اهـ

والقصيدةُ كذلك في (مُنتهى الطَّلبِ : ١/ ٢١١) .

ولم يتبيَّن لي سببُ التَّسمية ، فالله أعلم .

* * *

(٢٢)

الشّقْراطِسيَّة

نظمَـها العـلَّامة أبو محـمَّـد عبد الله بن أبي زكريَّـا يحـيَى بن عليٍّ الشّـقْـراطِـسيُّ (ت ٤٦٦هـ) ، أوَّلها :

الحمدُ لله منَّـا باعثِ الرُّسُلِ هَدَى بأَحمدَ مِنَّا أَحمَدَ السُّبُلِ

وهي في (١٣٣) بيتًا ، في صفةِ النَّبيِّ ﷺ ، وذكرِ شيءٍ من غزواتِه ، وسيرتِه ، وبعضِ مُعجزاتِه ، منها في ذكرِ المعجزاتِ :

وصَرْحُ كِسْرى تَداعَى مِن قَواعِدِهِ وانْقـاضَ مُنكسِرَ الأَرجـاءِ ذا مَيَلِ
ونارُ فـارسَ لـم توقَدْ ومـا خَمَدَتْ مُـذْ أَلفِ عامٍ ونَهرُ القَوْمِ لـم يَسِلِ
خَرَّتْ لـمبْعَثِـهِ الأوثـانُ وانبَعَثَتْ ثَواقبُ الشُّهْبِ تَرمي الجِنَّ بالشُّعَلِ

والشّقراطسيُّ : نسبة إلَى قلعةٍ قديمةٍ ، كانتْ بالقُرْبِ مِن قَفْصةَ بتُونِس ، اسمُها : شقْراطِس .

والقصيدةُ ذكرَها بتمامِها العَبدريُّ في (رِحلته – ص : ١١٨) بإسنادِه إلَى النَّاظمِ .

وهي أيضًا في (نهاية الأرب : ١٨/ ٣٤٧) . ونشَرَها مُحَقَّقةً الأستاذُ عبدُ الله كنّون في (مجلَّة المجمع اللُّغويّ الدِّمشقيّ - العدد / ٥٤ - ص : ٨٦) . ورأيتُه ضبطَ حرفَ الشِّينِ ضبطَ قَلَمٍ بالفَتْحِ ، وضُبِطَتْ في (التَّاجِ) ضبطَ قَلَمٍ كذلك بالضَّمِّ ، والكلمةُ أعجميَّة ، فاللهُ أعلمُ .

❋ ❋ ❋

(٢٣)

الفراقيَّة

هي قصيدة أبي الـحسن عَليّ بن زُرَيْق الْكَاتِب الْبَغْدَادِيّ ، الزُّرَيقي ، المشهورةُ ، وتعرفُ كذلك بالزُّرَيقيَّة ، وعَينية ابن زُريق .

أوَّلها :

لَا تَعـذليهِ فَـإِنَّ العَـذلَ يولِـعُـهُ قَد قُلتِ حَقًّا وَلَكِن لَيْسَ يَسمَعُهُ

قَالَ فيـها ابْنُ حزم - في ما نقَله عنهُ تلميذُهُ الـحُمَيـديُّ - : « يُقَال من تختَّم بالعقيقِ ، وَقَرَأَ لأبي عَمْرو ، وتفقَّـهَ للشَّافِعِيِّ ، وَحفظَ قَصيـدةَ ابْن زُرَيْق فقد استكمَلَ الظرفَ » اهـ

وقال ابنُ السُّبكي في (طبقات الشَّافعية : ١/ ٣٠٨) : « وقصيدة عَلِيِّ بْن زُرَيْق الْكَاتِب الْبَغْدَادِيِّ غرَّاءُ بَديعة » اهـ ثمَّ ذكرَها مُسنَدةً إلى ناظمِها .

ووقعَ في (وَفَيَاتِ الأعيانِ) أنَّها لـمحمَّدِ بن زُريق ، والأوَّلُ أولى في اسمِ الشَّاعر ، لأنَّ ابنَ السُّبكيَّ رواها مُسنَـدةً لناظمها عليِّ بن زُريق ، و كذا السَّخاويُّ في (الجواهر والدُّرر) .

وقد شرحَها جماعة ، منهم عليُّ بن مُطَاوع العزيزيُّ الأزهريُّ (ت ١١٩٩هـ) ، وسمَّى شرحَهُ : (إِشارات التَّحْقِيق الفَيضية إِلَى خبايا القَصيدةِ الزُّرَيقية) .

وعارَضها آخرون ، منهم أَبُو الْعَبَّاس ابْن الدبيثي، أَحْمد بن جَعْفَر (ت ٦٢١هـ) ، انظر : (الوافي بالوَفَيَات : ٦/ ١٧٥) . ومنهم : السَّيِّد زيد بن مُحَمَّد اليمني (ت ١١٢٣هـ) ، انظر : (البدر الطَّالع للشَّوكاني : ١/ ٢٥٦) .

وانظر القصيدةَ بتَمامِها في : (الوافي بالوفَيَات : ٢١/ ٧٧) ، و(طبقاتِ الشَّافعيَّة : ١/ ٣٠٨) ، و(مصارع العشَّاق : ١/ ٢٣) .

❋ ❋ ❋

(٢٤)

الفاضِحةُ

قصيدةُ النَّابغةِ الجَعديِّ ، في هجاءِ قُشَير ، أوَّلها :

جَهِلتَ عليَّ ابنَ الحَيا وظَلَمتَني   وجمَّعتَ قَولًا جاءَ بَيتًا مُضَلَّلا

قالَ أبو الفرَجِ في (الأغاني : ٥/ ١٢) : « وقال أبو عَمرو الشَّيباني : كان سَببُ الـمهاجاةِ بينَ ليلى الأَخْيليَّة وبينَ الجعديِّ : أنَّ رجلاً من قُشير ، يقالُ له ابنُ الحَيا – وهي أمُّه – ، واسمهُ سَوَّارُ بنُ أوفى بن سَبرة ، هجاهُ وسبَّ أَخوالهُ مِن أَزد ، في أمرٍ كانَ بينَ قُشير وبينَ بني جَعدة ، وهم بأَصبهانَ ، مُتجاورون ، فأَجابهُ النَّابغةُ بقَصيدتِه ، التي يُقال لها الفاضِحة ، سُمِّيت بذلك لأَنَّه ذكرَ فيها مَساوئَ قُشير وعقيل ، وكلَّ ما كانوا يُسبُّون به ، وفَخَرَ بمآثرِ قَومهِ وبما كان لسائرِ بُطونِ بني عامرٍ سوى هَذَين الحيَّينِ من قُشير وعقيل :

جَهِلتَ عليَّ ابنَ الحَيا وظَلَمتَني   وجمَّعتَ قَولًا جاءَ بَيتًا مُضَلَّلا » اهـ

و القَصيدة في (ديوانه – ص : ١٢٨) في واحدٍ و ثلاثينَ بيتًا .

(٢٥)

هُدى البَنين

قصيدةُ أبي مَروان عبدِ الملك بنِ إدريس الجَزيريِّ (ت ٣٩٤هـ)، التي أوَّلُها :

أَلْوى بِعَزمِ تَجلُّدي وتَصبُّري		نَأْيُ الأحبَّةِ واعتِيادُ تذَكُّري

وعددُ أبياتِها : مئَتانِ وتِسعةَ عشَرَ بيتًا .

حقَّقَها الأستاذُ هِلال ناجي عن مخطوطةٍ نفيسةٍ ، كُتبَ في أوَّلها : « جزءٌ فيه قصيدةُ أبي مروان الجَزيري في الآدابِ والسُّنَّة ، كتبَ بها إلى بَنيه ، وترجمَها بـ (هُدَى البَنينِ) » اهـ قالَ فيها يُخاطِبُ أبناءَه :

إنِّي نَصَحْتُ بِنَظمِهِ جُهْدي لَكُمْ		وَهَدَيتُكُمْ سَنَنَ الطَّريقِ الأَخْصَرِ

والقصيدةُ جميلةٌ بديعةٌ ، ضمَّنها حِكمًا غاليةً ، ونَصائحَ نَفيسةً ، ومِنها :

وَاسْتَنَّ بالسُّننِ الَّتي ثَبَتَت بهِ		صُحُفُ الرُّواةِ عن البَشيرِ المُنذرِ
صلَّى الإِلَهُ عليهِ ما صَدعَ الدُّجى		فَجْرٌ وعَرَّفَنا بهِ في المَحشَرِ
وَارْفُض حَديثاتِ الأُمورِ فإنَّها		بِدَعٌ تُضَلِّلُ كلَّ قَلْبٍ مُبْصِرِ

(٢٦)

النُّفاضَةُ

قصيدةُ امْحمَّد بنِ محمَّد بنِ المختارِ اليعقوبيِّ ، المعروفِ بــ (امْحمَّد بنِ الطلب) ، التي أوَّلها :

صاحِ قِفْ واسْتَلِحْ على صحْنِ جالِ سَبْخةِ النِّيشِ هَلْ ترى من جِمالِ
قِفْ تأمَّلْ فأنْتَ أبْصَرُ مِنِّي هَلْ تَرى من حُدوجِ سُعْدَى التَّوالي

عارَض بها قصيدةَ الأعشَى الَّتي أوَّلها :

مَا بُكَاءُ الكَبِيرِ بِالأَطْلاَلِ وَسُؤَالِي وَمَا تَرُدُّ سُؤالي

قال أحمدُ بنُ الأمين الشنقيطيُّ في كتابِه (الوَسيطِ في تَراجمِ أُدباءِ شَنقيط) : « وهذه القصيدةُ تُعرفُ بالنُّفاضةِ ، سمَّاها ناظمُها بذلك ، والمرادُ بها ، نُفاضةُ التَّمر ، وهي ما اسْتَوى على النَّخلة ، فَنُفِض » اهـ

منها :

وأرَى الدَّهرَ ليسَ يَبقَى على حا لٍ فَلا تَجْزعَنَّ مِنْ سُوءِ حالِ

لا ولا تَفرحَنَّ إنْ كنْتَ يوْمًا في سُرُورٍ ونِعمةٍ واحْتِفالِ
كم حَظِيظٍ بالأمْسِ كانَ مُقِلًّا وَمُقِلٍّ مِنْ بعْدِ ثَرْوةِ مالِ !

والقَصيدةُ بتَمامها في (الوَسيطِ في تَراجمِ أُدباءِ شَنقيط - ص : ١٤٧) .

(٢٧)

القَصيدَةُ اليَـتيمةُ

لدوقلةَ المنبجيِّ ، عُزِيَتْ إلى سبعةَ عشرَ شاعرًا ، كلٌّ منهم قد ادَّعاها .

ومطلعُها :

هلْ بالطُّلــولِ لسائـلٍ ردُّ أمْ هل لَّـهـا بتَكَلُّـمٍ عَهْـدُ

ومنها البيتُ المشهورُ :

ضدَّانِ لـما استجمعا حَسُنا والضِّدُّ يُظْهِـرُ حُسْنَه الضِّدُّ

انظر : (بحوث وتحقيقات : ٢/ ٢١٧) ، تأليف : عبد العزيز الميمني .

وقالَ الأستاذ إبراهيم صالح في حاشيةِ (تذكرةِ ابن العَديم ١٨١) : « وتُعرَفُ أيضًا بالقَصيدةِ الدَّعْدِيَّة » اهـ

---

(١) قال الأستاذُ أحمد البخاريُّ – وفَّقه الله – معلِّقا : « واسمٌ ثالث ، هو التَّيميَّة ، وانظر سبَب هذه التَّسمية في بحثٍ وافٍ عن القصيدةِ للدكتورِ عبد الله الجبُّوري ، الذي أتبَعه بنشرِها تامَّة عن أربعِ نُسخٍ خطِّيَّة ، فانظر =

ونشرَها الدكتور صلاحُ الدِّينِ المنجِّد في رسالةٍ مستقلَّةٍ بعنوان : (القصيدة اليتيمة بروايةِ القاضي عليٍّ بن المحسن التَّنُوخيِّ) .

* * *

= كلَّ ذلك تحقيقَه لديوان أبي الشِّيص الخُزاعي ، لأنَّ أبا الشَّيص ممَّن نُسبتْ له هذه القصيدةُ ، و الدكتور يَميلُ إلى ذلكَ » اهـ (هيئة التحرير)

(٢٨)

القَصيدةُ اللَّاكِنِيَّة

للصَّاحبِ بن عبَّاد .

قالَ الصَّلاحُ الصَّفَديُّ في (نصرة الثَّائر – ص : ١١٤) : « وقد عِيبَ علَى الصَّاحبِ بن عبَّاد قولُه :

أُشَبِّبُ لكنْ بالـمَعالي أُشَبِّبُ وأنسُبُ لكنْ بالـمَفاخرِ أنسُبُ
وبي صَبوةٌ لكنْ إلَى حَضرةِ العُلا وبي ظَمأٌ لكنْ مِنَ العِزِّ أشرَبُ

وسُمِّيتِ القصيدة اللَّاكِنِيَّة ؛ لكثرةِ تَردادِ (لكن) فيها » اهـ

❊ ❊ ❊

(٢٩)

الـمُنفَرِجَـة = الفرجُ بعد الشِّدَّة

وهي القصيدةُ الَّتي أولُّها :

اشتدِّي أزمةُ تنفرجي   قد آذَنَ لَيْلُك بالبَلَـجِ

وسمَّاها السُّبْكِيُّ في (طبقات الشَّافعية : ٨/ ٥٦) بـ (الفرج بعد الشدَّة) .

ولزكريَّا الأنصـاريِّ شرحٌ عليها سمَّـاه بـ (الأضواء البَهِـجة في إبراز دقائـق المنفرجة) .

وتنسَبُ القصيدةُ إلى أبي الفضلِ يوسف بن محمَّد بن يوسف التَّوْزَرِيِّ ، المعروفِ بابنِ النَّحويِّ ، وإلى أبي عبد الله محمَّد بن أحمدَ بن إبراهيمَ الأندلسيِّ القُرَشيِّ .

❊ ❊ ❊

(٣٠)

القَصيدةُ الحِرْباوِيَّة

أَلَّفَها عثمانُ بن عيسَى البَلَطِيُّ النَّحْوِيُّ ، وسَمَّاها بالقصيدةِ الحِرْباويَّةِ ؛ كأنَّها تَتلوَّنُ كالحِرْباءِ ، فحرفُ رويِّها يكونُ مضمومًا ، ثمَّ يصيرُ مفتوحًا ، ثمَّ مكسورًا ، ثمَّ ساكِنًا ، وهي مِن مجزوءِ الكاملِ . وأوَّلُها :

إنِّـي امـــــرؤٌ لا يَطَّـــبِيــ ـنِي الشَّادِنُ الحَسَنُ القَوَام

فيجوزُ في ميمِ « القوام » الرَّفعُ ، والنَّصبُ ، والجرُّ ، والوقفُ بالسُّكونِ . وعلَى هذا النَّحْوِ تجري أبياتُ القصيدةِ .

انظرْ : (الأشباه والنَّظائر : ٤/ ٤٥٠) للسيوطيِّ (ط : مجمع اللُّغةِ العربيَّةِ بدمشق) .

❊ ❊ ❊

(٣١)

القصيدةُ الوضَّاحيَّة

في مَدحِ عائشةَ أُمِّ المؤمنينَ رضِيَ اللهُ عنها .لأبي عمرانَ مُوسَى بن محمَّد بن عبد الله الأندلسيِّ ، المعروفِ بابنِ بَهِيج (كانَ حيًّا سنةَ ٤٩٦ هـ) .

وأوَّلها :

مـا شـانُ أمِّ الـمؤمنـينَ وشـاني   هُدِي الـمُحِبُّ لها وضلَّ الشَّاني

إنِّي أقـولُ مبيِّـنًا عـن فضلِـها   ومُتَرْجِـمًـا عن قولِـهـا بلِسـاني

وقد نشرَها عبد الله كنون المغربيُّ في (مجلة مجمع اللُّغة العربيَّة بدمشق : ٤٨/ ٧٤٧- ٧٥٦) ، ثمَّ أعادَ نشرَها في (مجلَّة المناهل : العددِ السَّادس- رجب ١٣٩٦- ص : ٢٥- ٣٤) .

ومـمَّـا قالَه في مَطلعِ مَقالتِـه : « هي قَصيدةٌ في مناقبِ أمِّ المؤمنين عائشةَ رضِيَ اللهُ عنها ، اشتملتْ على ذِكرِ فضائـلِها ، وفضائلِ والدِها أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ ، ومجادلةِ الخصومِ المبغضينَ لها ، الـمتقوِّلينَ عليها ، ومُحاجَّتهم بالدَّليلِ من الكتابِ والسُّنَّة ، في إيمـانٍ صادقٍ ، ودفاعٍ حارٍّ ، وبالواقع التَّاريخيِّ الَّذي لا نِزاعَ فيه من سِيرتِها العَطرةِ ،

وسيرةِ أبيها الخليفةِ الأوَّلِ رضوانُ الله عليه ، وكلُّ ذلك بأسلوبٍ بارعٍ ، وبيانٍ رفيعٍ ، ونَظمٍ مُحكَمٍ متينٍ .

وممَّا أبرَّ به صاحبُ هذه القصيدةِ أنَّه جعلَها علَى لسانِ السيِّدةِ عائشةَ نفسِها ، فبعدَ المطلعِ الَّذي يؤذِنُ بمقصودِه ، تخلَّص في البيتِ الثَّاني إلَى إعطائها الكلمةَ ، فجعلَها هي الَّتي تُناظِرُ ، وتُفاخِرُ ، وتدفع في نحورِ الأعداء بسلاحِ الحجَّةِ والبُرهان الَّذي يُطوِّقُهم الخِزْيَ والعارَ » اهـ

ولعبدِ الحميدِ قُدْس المكيِّ (ت ١٣٣٤) تخميسٌ علَى القصيدةِ بعنوان : (بُلوغ السَّعدِ والأمنيَّة في مَدح سيِّدتِنا أمِّ المؤمنين المبرَّأةِ الصِّدِّيقيَّة) ، وهو مطبوعٌ في مطبعةِ الترقي بمصر سنةَ ١٣١٩ هـ

انظر : ترجمةَ صاحبِ القصيدةِ ، وتوثيقَها ، وتخميسَها ، بقلم : محمَّد بن ناصر العجميِّ ، في مقدِّمة (القصيدةِ الوضَّاحية) المطبوعةِ عن دار البشائرِ الإسلاميَّة ، بعناية : نظام محمَّد صالِح يعقوبي .

* * *

(٣٢)

أبيات الفَناءِ

قال الثَّعالبيُّ في (ثمار القلوب – ص : ٣٠٧) : « (شؤم البَسُوس) : هي بنتُ مُنقذ التَّميميَّة ، زارت أختَها أمَّ جَسَّاس بن مرَّة ، ومع البَسوس جارٌ لها من جَرْم ، يُقال له : سعد بن شمس ، ومعه ناقةٌ له ، فرماها كُلَيب وائل لـمَّا رآها في مَرْعًى قد حماه ، فأقبلتِ النَّاقةُ إلَى صاحبِها وهي تَرْغُو ، وضرعُها يَشْخُبُ لبنًا ودمًا ، فلمَّا رأَى ما بها انطلقَ إلى البَسُوسِ ، فأخبرَها بالقصَّة ، فقالت : واذُلَّاه ! واغُرْبتاه ! وأنشأت تقولُ أبياتًا تُسمِّيها العَرَبُ أبياتَ الفَناءِ ، وهي :

لَعَـمْرِيَ لَوْ أصْبَـحْتُ في دارِ مُنقِـذٍ ... لَـمَـا ضِيمَ سَعْدٌ وَهْوَ جـارٌ لأبيـاتي
ولكنَّـني أصْبَـحْـتُ في دارِ غُـرْبــةٍ ... متَى يَعْدُ فيها الذِّئْبُ يَعْدُ علَى شاتي
فيا سَعْـدُ لا تغـررْ بنفسِـكَ وارتَحِلْ ... فإنَّـكَ في قـومٍ عن الـجـارِ أمـواتِ
ودُونـكَ أذوادي فـخُـذْهـا وآتِـني ... بـراحلـةٍ لا تَغْـدِرَنْ ببُـنَـيَّــاتي » اهـ

ولعلَّ صوابَ البيتِ الأخيرِ : « وإنَّني لراحلةٌ لا يغدِروا » .

* * *

(٣٣)

الشَّمَـقْـمَـقِـيَّـة

لأحمدَ بنِ محمَّد بن محمَّد بن الونَّان الحِمْيَرِيِّ الفاسيِّ . وأوَّلُها :

مَهْلًا علَى رِسْلِكَ حَادِي الأيْنُقِ ولا تُكـلِّـفْـهـا بمـا لـم تُطِـقِ
فطَالـمَـا كَلَّفْـتَـهـا وسُقتَـهَـا سَوْقَ فَتًى مِن حَالِها لـم يُشْفِـقِ
ولـم تَزلْ ترمِي بـها يـدُ النَّوَى بكلِّ فَـجٍّ وفــلاةٍ سَـمْـلَـقِ

وقد شرحَها كثيرٌ من علماءِ المغربِ ، منهم : عبد الله كنُّون ، والنَّاصريُّ السلاويُّ ، والمكيُّ بن محمَّد البطاوريُّ .

* * *

(٣٤)

السَّاسانِيَّة

قصيدتانِ كلٌّ واحدةٍ منهما تُسَمَّى السَّاسانيَّة ، وهما :

١ . قصيدة عُقيل بن محمد العكبريِّ المعروفِ بالأحنفِ العكبريِّ (ت ٣٨٥ هـ) أنشدَها الصَّاحبَ بن عبَّاد ، وكانت من القصائدِ المفقودةِ حتى نُشرَ ديوانُه ، وهي في ٦٨ بيتا ، أولها :

لقد هاجَ لي الوجد غزالٌ دائـم الصـدِّ
أنيقُ الحسنِ مَيَّاسٌ مليحُ الخـدِّ والقَـدِّ
لـهُ وجــهٌ هــلاليٌّ إذا مـا لاحَ في المردِ

والقصيدةُ من قصائدِ أدبِ الكديةِ - الشحذة - ، يفتخرُ فيها بأهلِ الكديةِ الذين كانوا يُسَمَّون السَّاسانيَّة في ذلك الوقتِ .

٢. قصيدةُ مسعر بنِ مهلهل الينبوعيِّ المعروفِ بأبي دلف الخزرجيِّ (ت ٣٩٠ هـ) عارض بها قصيدةَ الأحنفِ العكبريِّ ، وأنشدها الصَّاحبَ بن عبَّادٍ أيضا ، والموجود منها ١٩٥ بيتًا ، أوَّلها :

جُـفـونٌ دَمْـعُـها يجري لطولِ الصَّـدِّ والـهَـجْرِ
وقلـبٌ تَــرك الـوَجْـدُ بـه جـمـرًا على جَـمـرِ
لقد ذُقـتُ الهوى طَعْمَيـ ـنِ مـن حُلـوٍ ومـن مُرِّ

وقد أنشدَها الثَّعالبيُّ في (يتيمة الدَّهر) وشرحَ كثيرًا من ألفاظِها ومعانيها .

* * *

(٣٥)

المُكَتَّمة

وهي قصيدةٌ لأعشى هَمْدان عبد الرحمن بنِ عبد الله الهَمْداني (ت ٨٣ هـ) ، وهي واحدةٌ من قصائدَ كانت تُسَمَّى المكتَّمات ، ولم أعرِف منها غيرَ هذه ، وإنما سُمِّيت المُكَتَّمات ؛ لأنَّهُنَّ كُنَّ يُكَتَّمنَ في زمن بني أُميَّة إذ كانتْ فحواهنَّ الدِّفاعَ عن آل البيتِ والعصبيَّةَ لهم ضِدَّ بني أُمَيَّة .

قال ابنُ جريرٍ الطبريُّ في (تاريخه : ٥/ ٦٠٧) : « وكان مما قيلَ من الشِّعرِ في ذلكَ قولُ أعشى هَمْدان ، وهي إحدى المُكَتَّمات ، كُنَّ يُكَتَّمن في ذلك الزَّمانِ :

أَلَــمَّ خَيــالٌ مِنــكِ يـا أُمَّ غالِـبِ فَحُيِّـيتِ عَنَّـا مِـن حَبـيبٍ مُجانِبِ
وما زِلتِ لي شَجوًا وما زِلتُ مُقصَدًا لِـهَـمٍّ عَـراني مِن فِراقِـكِ ناصِبِ
فَما أَنسَ لا أَنسَ انفتـالَكِ في الضُّحى إِلينا مَعَ البيضِ الوِسامِ الخَراعِبِ » اهـ

* * *

الرد على منكري السنة

بما زعموا من (العرض)

محمود محمد محمود مرسي

مقال مستل من حلقة العلوم الشرعية

الردُّ على مُنكري السُّنَّة
بمـا زَعموا مِن (العَرضِ)

قدْ ظهرَ على السَّاحةِ بعضُ الـمُتصوِّفةِ الذين يدَّعون – كمـا ادَّعى أسلافُهم من قبلُ – أنَّهم يعرضونَ الحديثَ على رسولَ الله ﷺ ؛ لمعرفةِ صحَّتِهِ وهلْ قالَهُ أمْ لَمْ يقلْهُ ، ولَيْتَهُم وَقَفَوا عِنْدَ حَدِّ حديثٍ مُعيَّنٍ ، وصحَّحوه أو ضعَّفُوه بناءً على رُؤيا رأَوْها ، لكنَّهم تجاوزوا هَذا إلى حَدِّ العُمُومِ ، وأصبحَ العَرْضَ على النَّبيِّ ﷺ عندهم هو الفيصلُ والعمدةُ فِي التَّصْحيحِ والتَّضعيفِ !

فإذا حَكمْنا مثلًا بجوازِ مُعاملةِ غيرِ المسلمينَ ، واستدْلَلنا عَلى هَذَا بالحديثِ الصَّحيحِ : « مَاتَ رَسُولُ الله ﷺ ودرْعُه مَرْهونةٌ عندَ يَهُودِيٍّ » بَادَرُوا إلى الإنكارِ عَلَيْنَا قائِلين : إنَّ الحديثَ موْضوعٌ : عَرضْناه على النَّبيِّ ﷺ فبيَّنَ لنا أنَّه مِنْ وَضعِ الْيَهُودِ ؛ ليقولوا لكم : إنَّ نبيَّكُم ماتَ مُحْتَاجًا إلينا !

وهكذا مـا لا يروقُ لـهم مِنَ الأحـاديثِ الصَّحيحةِ قالوا : عَرضْناها ، فإذا هيَ

مَوضوعةٌ . وما راقَ لهم مما هُو موضُوعٌ بشهادةِ أهلِ العلمِ قالوا : عَرضْناه فإذا هُو صَحيحٌ . وهكذا أصبحَ الحكمُ على الحديثِ عندَهم عامًّا ، وبهذا فَتحوا بابًا واسعًا لهدمِ السُّنَّةِ وإنكارِها .

وقد أردتُ أن أعرضَ عليكم بعضَ ما كنتُ نظمتُه فِي الردِّ عليهم ، قلتُ بعدَ الكلامِ على مَنْ يرى أَنْ هَدْيَ غيرِ الرَّسُولِ ﷺ أَكْمَلُ منْ هديِهِ :

❋ ❋ ❋

وَلْيَـتَّـقِ اللهَ الْأُلَى قَـدْ قَـدَّمُوا
شُيُوخَـهُمْ عَلَـيْهِ ثُـمَّ حَكَّـمُوا

إِنْ قُلْـتُ : قَـالَ اللهُ وَالرَّسُولُ
قَالُوا : وَلَكِنْ شَيْخُـنَا يَقُـولُ

وَأَوَّلُـوا كَلَامَــهُ إِنْ خَالَــفَا
كَلَامَ مَـنْ يُدْعَى لَدَيْهِـمْ عَارِفَا

وَرُبَّــمَا يُشَكِّــكُونَ فِيــهِ
وَفِي عَـدَالَةِ الَّــذِي يَــرْوِيـهِ

وَاسْمَــعْ لِهَذَا الْمَـاكِرِ الْخَبِيثِ

يَطْعَـنُ فِي السُّـنَّـةِ وَالْحَـدِيثِ

يَقُـولُ : إِنِّي أَعْرِضُ الْأَخْـبَارَا

عَلَى النَّبِيِّ الْمُصْـطَفَى اخْتِـبَارَا

فَمَـا أَقَـــرَّهُ مِنَ الْأَخْــبَــارِ

صَـحَّ وَإِنْ ضَعَّـفَـهُ الْبُخَارِي !

وَكُلُّ مَـــا أَنْكَـــرَهُ فَأَعْـلَـــمُ

بِوَضْـعِـــهِ وَإِنْ رَوَاهُ مُسْـلِمُ !

يَا قَوْمُ هَلْ هَذَا مِنَ الْمَعْـقُولِ ؟

وَكَيْفَ عَرْضُهُمْ عَلَى الرَّسُـولِ ؟

أَضَلَّ عَنْ عَرْضِ الْحَدِيثِ مَالِكُ

ثُمَّ اهْتَـدَى إِلَيْهِ هَذَا الْهَالِكُ ؟

أَمْ نَــالَهُ مِــنَ النَّبِيِّ الْمُرْسَـــلِ

مَا لَـمْ ينَلْهُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَـلِ ؟

ثُـمَّ أَلَـمْ تَخْتَـلِفِ الصَّـحَـابَـهْ

وَغَابَ وَجْـهُ الْحَـقِّ وَالْإِصَـابَهْ

وَاحْتَـــدَمَ النِّـقَاشُ وَالْجِـدَالُ

وَكَانَــتِ الْحُرُوبُ وَالْقِـــتَـالُ

فَمَا لَهُـمْ لَـمْ يَسْـأَلُوا الرَّسُـولَا

فِي قَبْرِهِ وَيَطْلُبُوا الْحُـلُولَا ؟! [1]

أَمَا اهْتَدَوْا إِلَى سُؤَالِ الْمُصْطَفَى

وَفِي سُـؤَالِهِ مِنَ الْعِيِّ الشِّـفَا ؟!

مَا قَوْلُهُـمْ بِالْعَـرْضِ إِلَّا حِيـلَهْ

لِيَـتْرُكُوا السُّـنَّــــةَ أَوْ وَسِيـلَهْ

---

(١) أقصدُ به جمعًا شاعَ استِعمالُه عندَ النَّاسِ لكلمةِ (الحل) حينما يقولونَ مثلًا : الحلولُ الميسورةُ للمُشكلاتِ الكثيرةِ ، وهذا المعنى استعملتُه في النَّظمِ رغمَ أنَّ كثيرًا مِن أهلِ اللُّغةِ يُنكِرُه ، لأنِّي وجدتُه يَجري علَى الألسنةِ حتىَّ إنِّي وجدتُ بعضَ أعضاءِ المجامعِ اللُّغويَّةِ الآنَ يستخدِمُه ، ومَن لم تَرُق له كلمةُ : (الحُلُول) فلْيقُلْ :

فَمَا لَهُـمْ لَمْ يَسْـأَلُوا مُحَـمَّدَا   فِي قَبْرِهِ وَيَطْلُبُوا مِنْهُ الْهُدَى

إِنْ وَافَقَ الْحَدِيثُ عِنْدَهُمْ هَوَى
صَحَّ وَإِنْ يَكُنْ كَذُوبًا مَنْ رَوَى

وَإِنْ يَكُـنْ خَالَـفَ يَعْرِضُـوهُ
زَعْـمًـا وَتَخْيِـيلًا لِيَرْفُضُـوهُ

قَدْ حَكَّمُوا فِي السُّـنَّةِ الْأَهْـوَاءَا
وَقَـدَّمُـوا الْأَوْهَـامَ وَالْآرَاءَا

***

إبداعات أدبية

جلساء الملتقى

مستلة من حلقة الأدب والأخبار

لابد للطالب من كنّاش !

للشَّاعر أحمد سالم الشنقيطي

لا بُـــدَّ لِلطَّالِـــبِ مِـــن كُنَّـــاشِ

يَقْنِيـــهِ وَهْـــوَ راكِـــبٌ أَوْ مـــاشِ

أوْ مُتَمَـــــــدِّدٌ على الفِـــــــراشِ !

سِـــيَّانِ فيـــهِ : مُنتَـــهٍ ونـــاشِي

يَغـــذُوهُ بِالنَّـــافِعِ مِـــن حَـــواشِ

وغَيرِهـــا ، لَـــو سُـــلَّ بالمِنقـــاشِ

فَهْـــوَ لَهُ كَالـــــماءِ للعِطـــــاشِ

يَحفَظُـــــهُ كأَحسَـــــنِ الرِّيــــاشِ

ورُبَّمـــا التَّخـــزينُ في (الفَـــلاشِ)

أيْســـــرُ لِلمَشـــغولِ بِالـــــمَعاشِ

وحَملُـــهُ في الجَيـــبِ أيضًـــا فــاشِ

وكَوْنُـــــه يَتْلَـــــفُ بِانْخِـــــداشِ

أَوْ عُرضَـــــةً لِّلفَقْــــدِ والتَّــــلاشِي

أَكــثرُ مــا يَخْـــشَى عَلَيــهِ الخــاشِي

فَــلا تكُـــنْ يــا طَيِّــبَ الـــمُشاشِ

مُخالِطًـــــا لِّلهُمَّـــــلِ الأَوْبــــاشِ

ولا قَـــــرِينَ الكَسِـــــلِ الفَيَّـــاشِ

أَوْ إِمَّعًـــــا ، تُقَـــــادُ بالخِشـــــاشِ

بَلْ كُنْ سَوِيَّ النَّفسِ ، ثَبْتَ الجـاشِ

وكُـــــن نَّـــديمَ الحـــــاذِقِ النَّبـــاشِ

والباحِــــثِ الدَّرَّاكـــــةِ الفَتَّـــاشِ

وكُـــــن لِّمـــــا يَـــــرُوقُ ذا انْتِيـــاشِ

كَـــم مِّــن ثِمــارٍ يَجْتَنِيهــا الغــاشِي

مَجـــــالِسَ العُلــــومِ والنِّقـــاشِ !؟

***

ونِعم الصّاحب الكتاب

للشَّاعر أحمد البخاري

إذا اشتَبَـكَت هُمـومُ الصَّدرِ مِلْنا * إلى كُتُـــبٍ تُبــشِّرُ بانْـــشِراحِ

إلى صُحُـفٍ كغُرِّ المُـــزنِ سالَتْ * بعَذبِ العِــلمِ والنُّكَتِ المِـلاحِ

فمِـن نَحوٍ كريـقِ النَّـحلِ صـافٍ * بهِ الألفـاظُ فـاحَـتْ كالأقــاحي

وتَفـسـيرٍ برُوحِ العَـبــدِ يــرْقى * وكلُّ العِلــــمِ في تِـلكَ النَّـواحي

وتَجـويـــدٍ بهِ الألفــاظُ صحَّـتْ * بتَرتــيلٍ حَـلا ، فبــهِ ارْتيــاحي

وآثـارٍ لـخَـيرِ الـخَــلقِ تَجـلو * ظَـلامَ النَّفـسِ بالكَلِـمِ الفِصـاحِ

فأَحكامٍ لفِـقهِ الدِّيــنِ جـــاءَتْ * بأَصلِ الـخَيرِ والرُّخَـصِ الفِساحِ

وتَـأريـخٍ لأهـلِ النُّـبْـلِ يَـأسـو * عَلـيلَ القَـلبِ بالسِّـيَرِ الصِّحاحِ

ومِن كُتُـــبِ الرِّجــالِ لنــا مَجالٌ * لتَعــديلٍ وتُنصِــفُ في الجِـراحِ

وأَشعــارٍ كرَوض الـحَزْنِ لاحَـتْ * فيَسلـو المَـرءُ بالسِّحـرِ المُبــاحِ

وفي عِلـمِ الـخَـليلِ لَطيفُ مَعنًى * بـهِ الأَشـعـارُ راقَــتْ كالوِشــاحِ

ومِن بَحرِ المَعـاجِـمِ كلُّ لَفـــظٍ * بَـهِيٍّ قـد تَحَــــدَّرَ في البِـطــاحِ

وفي كُتُــبِ البَـلاغـةِ كلُّ حُـسنٍ * فمــا للعَـــينِ عنــها مِن بَـراحِ

سِلاحُ العِلــمِ أَسفـــارٌ فَحـاذِرْ * سُلــوكَ البِــيدِ مَسلوبَ السِّلاحِ

وكُن شَهــمًــا إلى العَلــياءِ يَغــدو * بتَشـــمــيرٍ ليَسـعَــدَ بِــالرَّواحِ

أَتَرجــو أَن تَـنـالَ العِـلمَ صِرْفًـا * بنَـــومٍ بل « فُـؤادُكَ غـيرُ صاحِ »

طريـقُ المَجـدِ مُظلِــمةٌ ولكنْ * ستَحمَـدُ غِـبَّـها عندَ الصَّــبــاحِ

فقُـل مَهــلًا أخا التَّـقـصـيرِ إنِّي * رأَيتُ الـجِـدَّ مِعـراجَ النَّجــاحِ

ومَن يَسمـو بغَــيرِ العِلـمِ يَكبو * وخِدْنُ الكُـتْبِ خَـفَّاقُ الـجَناحِ

وحاذِر أن تَحــوزَ الكُـتْـبَ بُخـلًا * فبَــذلُ العِلـمِ داعيَـةُ الفَــلاحِ

يَجـودُ الـمَـرءُ بالأمــوالِ عَـفـوًا * وعِلْـقُ العِلــمِ أَولى بالسَّـمــاحِ

هُـــداةُ النَّــاسِ أَحسَنُـهـمْ عطـاءً * « وأَندى العالَـمـينَ بُطونَ راحِ »

أَخي خُـذها نَصيـحَـةَ مَـن تَحَرَّى * سَبيـلَ الـجِـدِّ مَأمـونَ المِــزاحِ

فهذي الكُتْبُ خَيرُ الصَّحبِ فاسْعَدْ * برَوحِ الرُّوحِ والمُـــــلكِ الصُّراحِ

* * *

ثاني اثنين إذ هما في الغار

للشَّاعر زيد الأنصاري

ثانيَ اثْـنَـينِ إذ هُـما في الـغـارِ * فـائِتُ الشَّـأوِ كالبُراقِ السَّاري
آيـةُ الزُّهـدِ عَـبقـريٌّ شُجـاعٌ * أوَّلُ الـمـؤمنـينَ بِـالـمُـخـتارِ
في الـتُّقى أوَّلٌ وفي العِلمِ بَـحـرٌ * أوَّلٌ في الـعَـطـاءِ والإيـثـارِ
أوَّلُ الـدَّاخلـينَ جنَّـاتِ عَدنٍ * كلُّ بـابٍ يَدعوهُ بِاستِبـشارِ
أوَّلٌ سـابِـقٌ لكلِّ حَـمـيـدٍ * فـهَـنـيئًا ونِعمَ عُـقـبى الـدَّارِ
كـاتِبُ الوَحيِ مُستـشارٌ أمينٌ * كـامِلُ الدِّيـنِ صائِـنٌ للـذِّمارِ
أكملُ النَّاسِ في الحوادثِ عَقلًا * ثـاقـبُ الـرَّأيِ مُـفـردُ الأفكارِ
وأحبُّ الـرِّجالِ عـندَ الـهادي * مِثلَما جاءَ في صَحيحِ البُخاري

لـم يُبالِ الأذى وحمـلَ الـرَّزايا * رجلُ العَزمِ والـخُطوبِ الكِبارِ
هـيِّنٌ لـيِّنٌ وإنْ سِـيـمَ خَـسْفًـا * راحَ يَنقـضُّ كالشِّـهابِ الواري
وادِعٌ حتى يُـسـتَـبـاحَ حَــرامٌ * يَنبري مِثـلَ ليثِ غابٍ ضـاري
مَـنعـوه مِن الـصَّـلاةِ عـيانًـا * فـبَـنى مَسـجـدًا بِساحِ الـدَّارِ
ذاقَ طعمَ الـهـوانِ وهْو شريفٌ * بَـعـدَ أن نــالَه أذى الكُـفَّـارِ
ردَّ معروفَ ابنِ الدُّغُـنَّـةِ طوعًا * مُستـجـيرًا بـاللهِ خـيرِ جِـوارِ
تَـركَ الـمـالَ والعِيالَ احتِسابًا * لـجِـنـانٍ تُـحـــاطُ بالأنـهارِ
والـنَّـبيُّ اعـتَنى بـقَـدرِ أبـيـهِ * في حديـثٍ بـمُـسـنـدِ الـبزَّارِ
زوَّج الـمُصطفى أعفَّ الصَّبايا * فـهَـنـيـئًـا لأكـرمِ الأصــهارِ
لـبِـسَتْ ثـوبَ عِـفَّةٍ وحَـيـاءٍ * سـابـغًا من نـعـومةِ الأظـفـارِ
خصَّـهـا اللهُ بـالـبَراءةِ وحْـيًـا * وانـتـقى الـطَّاهراتِ للأطـهارِ
مَـلَكٌ يَـقـرأُ السَّـلامَ علـيـها * أيُّ فخرٍ مِن بعدِ هذا الـفَـخَارِ

ذِكـرُنا أمَّ الـمـؤمـنـينَ حيـاةٌ * مِثلُ مسـكٍ في جُونـةِ العطَّـارِ

حُـبُّـها سُـنَّـةٌ ولا يَـزدَريهـا * غيرُ أهلِ الـخَنا وأهلِ الـبَـوارِ

وأبى اللهُ أن يَـــؤمَّ سِـــواهُ * حَسـبُـنـا حُكـمُ واحدٍ قـهَّـارِ

وإذا اختارَ أن يـكونَ إمـامًـا * رضيَ المسلمونَ حُكمَ الباري

أطـفأَ النَّار في السَّـقيـفةِ لـمَّـا * قـامَ بـالأمـرِ سـيِّدُ الأنـصـارِ

بـبَـيـانٍ جَلا لطيفَ الـمعاني * وكـسـاهُ الـقـرآنُ بـالأنـوارِ

أنفذَ الـجيشَ معْ أسـامةَ حتَّى * عتب الصَّحبُ من ذَوي الأبصارِ

فـأصرَّ الـصِّـدِّيـقُ إلا نـفـاذًا * فاسـتجـابوا لشِـدَّةِ الإصرارِ

حارَ أهلُ الـعقولِ والرَّأي مـمَّا * ركـبَ الـمُسـلمينَ من أخطارِ

مَنعُوا إيتاءَ الـزَّكـاةِ اعـتـباطًا * واشْـرأبَّ الـنِّـفاقُ في الأمصارِ

كـفـروا رِدَّةً وعـاثـوا فَـسـادًا * ويَـكـيـدون من وَراءِ سـتـارِ

ومـن ارْتـدَّ ردَّه لـلـمَـنـايـا * كـالِـحـاتٍ بعَـزمـهِ الـبـتَّـارِ

فـأناخـتْ له الـصَّـناديدُ لـمَّـا * أحرقَ الـمُـرتدِّينَ لفـحُ الـنَّارِ

جمع الذِّكرَ بعــدَ أن كانَ شـتَّى * مُسـنِـدًا أمــرَه إلى خيرِ قـاري

قـامَ زيدُ بـنُ ثـابتٍ واثِـقًـا في * ربِّــه ثـمَّ عَـزمِـه الــجبَّـارِ

فـأتـمَّ الـقرآنَ من كلِّ حَـدبٍ * من صُـدورِ الرِّجـالِ والأحجارِ

من رقاعِ الأديمِ أو من عَسيبٍ * أو كَـرانيـفِ سائرِ الأشـجـارِ

فاستَوى مُصحفًا شَريفًا منيـرًا * بـمِـداد مـن بَـسـمةِ الــنُّـوَّارِ

فعلى الـمُسلمينَ أن يستَـعيدوا * لأبي بكــرٍ واجِـبَ الإكبــارِ

ماتَ لـم يُبقِ في الـخَزائنِ مالًا * أو مَـتاعًـا أو يَـغْن مِن ديـنـارِ

فسَـلامٌ عـلى الإمـامِ الـمُـزكَّى * وسَـقى الـقَبـرَ وابِـلُ الأمـطارِ

فـأبو بـكـرٍ للـحَـيـاةِ حيــاةٌ * بـمَـكانِ الأسـماعِ والأبـصارِ

* * *

بدا منك قبل اليوم ما كان خافيا

للشَّاعر أبي طعيمة

بَدَا مِنْكَ قَبْـلَ اليَوْمِ مَا كَانَ خَافِيـا * وَلَـوْلَا أُزُوفُ الـهجْـرِ لَمْ يَكُ بَادِيَا

سَرَى بَعْـدَهُمْ يَقْــفُـو لَهُمْ كُلَّ مَنْزِلٍ * فُؤَادي فَأَضْحَى مِنْـهُ صَدْرِيَ خَالِيَـا

وَأَضْحَى نَهَــاري لَيْـلَةً مُـدْلَهِـمَّـةً * وَلَيْلَـتَهُـمْ يَــوْمَ الـرَّحِيــلِ لَيَالِـيَـا

عَلِيلُ هَـوًى مَـنْ ذَا يَـقُومُ لِـدَائِـهِ * إِذَا كَانَ مَنْ تَهْوَى الطَّبِيبَ المُدَاوِيا

فَـلَا أَهْلَكَ اللهُ الـمُحِبِّــينَ بِالنَّوَى * فَلَيْسَ الذِي يَهْـوَى كَمَنْ كَانَ لَاهِيَا

أَقُـولُ لَـهُمْ أَخْفُـوا الـملَامَ تَقِـيَّـةً * فَـلَيْسَ مـقَــامُ اللَّـوْمِ فِيَّ مُـؤاتِــيَا

جَزَى اللهُ أَسْبَـابَ الفِـرَاقِ تَـفَـرُّقًا * وَمَـنْ كَـانَ فِيـنَا بِالوِشَـايَةِ سَاعِـيا

فَـمَــا مِثْـلُــــهُ دَانٍ إِلَيَّ مُحَـبَّــبًا * وَمَـا مِثْـلُهُ عَـنِّي إِذَا نَــــاءَ قَـالِيَا

صَبَا مَـا صَبَا حَتَّى عَلَا القَلْـبَ غَفْلَةٌ ❋ وَظَـنَّ الذِي يَشْكُو عَلَى القَلْبِ ثَاوِيَا

وَإِنَّ الذِي يَنْـأَى عَنِ العَـيْنِ طَيْـفُهُ ❋ لَيَنْـأَى عَـنِ القَـلْبِ إِذَا كَـانَ نَائِيَا

وَمَـا كُلُّ مَنْ يَدْنُــو إِلَيْـــكَ تَـوَدُّهُ ❋ وَلَكِـنَّ حَـالًا صَيَّرَتْ مِنْــهُ دَانِيَـا

❋ ❋ ❋

رُبَّمـا أَوفَيـتُ في عَلَـمٍ
تَرْفَعَنْ ثَوبي شَمـالاتُ

هكذا يقول جذيمةُ الوضَّاحُ قَتيلُ الزبَّاء ، وسيِّدُ قومه المُملَّكُ عليهم ، وأوَّل من اتّخذَ النُّدماء ، وضُرِبَ المثلُ به في حُسنِ النِّدام ، وأكثرتْ من ذِكره الشُّعراءُ ، إلى أنْ قال مُتَمِّمُ بنُ نُويْرة وهو يَرثي أخاه مالكًا :

وكُـنَّا كنَـدْمانَيْ جَذيـمةَ حِـقْـبةً   من الدَّهر حتَّى قيلَ لن يَتصدَّعا

وسمعتُ قول الشَّاعر وهو يقول :

وقُلَّـــةٍ كَسنـــانِ الرُّمح بـــارزةٍ   ضَحْيانةٍ في شهور الصَّيفِ مِحراقِ
بادَرْتُ قُنَّـتها صَحْبي وما كَسِلوا   حتَّى نَميْـتُ إليـهـا بَعْـدَ إشراقِ

وكُنتُ قد حفظتُ قَولَ الآخرِ ، وهو المَرَّارُ بنُ منقذٍ اليشكُري :

ظلَّ في أَعلى يَفــاعٍ جـاذِلًا   يَقْسِمُ الأَمرَ كَقَسْمِ المُؤْتَـمِرْ

وقولَ الآخرِ :

ويظلُّ مُرْتَبِئًا عليها جاذِلًا في رأْسِ مَرْقَبةٍ ولأْيًا يَرْتَع

وقولَ الشَّنفرَى :

ألا لا تَعُدْني إنْ تَشكَّيْتُ خُلَّتي شفاني بأعلى ذي البُرَيْقَينِ غَدوتي

فوجدتهم يذكرون الجَذَلَ والشِّفاء ، وما يَغْشاهم من السُّرور عند الاشترافِ من فوقِ القِمَمِ ، والأماكن العاليةِ .

ثمّ وقَعْتُ على قولِ جَذيمةَ الأبْرشِ وهو الوضَّاح ، وأنا أَجْرِدُ كتابَ الأَغاني لأبي الفَرَج الأصبهاني :

رُبَّما أَوفَيتُ في عَلَمٍ تَرْفَعَنْ ثَوبي شَمالاتُ

وقوله : « أوفيتُ » ، أي : أصعدتُ وارتقيتُ . و(العَلَمُ) : الجبلُ ، قالتِ الخنساءُ :

وإنَّ صَخرًا لتأتمُّ الهداةُ بهِ كأنَّه عَلَمٌ في رأسهِ نارُ

فلمَّا قرأتُ هذا الشِّعرَ راقني ما يقولُ ، وحرَّك في نفسي حُبَّ الاستطلاعِ ، وقلتُ : إنْ كانَ هناك لَذَّةٌ بَقِيتْ ففي هذا الَّذي يذكرونَه ، والذي يصفونَ مِن حالِ صاحبِه ما

يصفون ، ولـم يكن همِّي يومئذٍ إلا التَّوقُّـل في الـجِبالِ - أي : الصُّعود في الجبلِ خاصَّةً - ، وظننتُ أنَّه إنْ تَمَّ لي ذلك فقد نازَعتُ العُقاب كِبْرَه ، وزاحمْته في ذلك الشَّرَفِ !

ومعلومٌ أنَّ العُقابَ أشدُّ الطَّيرِ الجارِحة فتْكًا ، وأسرعُها انصِبابًا على صَيدِه ، فهو لا يكونُ في ذلكَ المكانِ ، ولا في تلكَ العَلياءِ إلَّا إذا كانت بين يَديه فريستُه ، أو كان مُطِلًا علَيها .

فمضَيْتُ إلى جبَلٍ قَريبٍ منَّا ، يُدعا : (ساقًا) ، وأنا لا أدري لأيِّ شيءٍ سُمِّي بهذا الاسم ؛ فإن كانوا شبَّهوه بساقِ الإنسانِ فقد أبعدُوا في التَّشبيه ، لأنَّ الذي رأيتُ شيءٌ لا يُشبه السَّاقَ ، وإنَّمـا هو بالعمودِ المُصْمَتِ أشبه ؛ لامتِناعِه ، وكونِه أملسَ ، ولو سمَّوْه قَرْنًا لكانَ أجدرَ بهم ، وإن كانوا سمَّوه : ساقًا لكثرةِ ما اندقَّ فيه من الأسوُق - جمعُ : ساقٍ - فقد أصابوا !

وانطلقتُ وفي رأسي تلكَ المعاني ، والأبياتُ ، و فيه مما لم أذكرهُ أضعافٌ ، فلمَّا صِرْتُ في أصلِ ذلك الجبل حَطَطتُ ما معي ، وتخفَّفتُ من الشماغِ والطاقيةِ ، وقدَّرْتُ في نفسي أنها رُبْعُ ساعةٍ ، وإذا بي قد نَزلتُ ، ولبِستُ نعالي ، ثمَّ مَضيتُ موفورًا بسيَّارتي ، فلمَّا صرتُ في نَعْفِه - أي في المكانِ الذي فيه غِلَظٌ ، ولايصلُ إليه السَّيل - ،

أسرعَ قلبي في ضَرَبَانه قليلًا فتَجلَّدتُ ، فلمّا وقعتُ في المكانِ الذي في وسطِ الجبل ، وفارقتُ الأرضَ ، واستوى الصُّعودُ عندي والنُّزول ؛ – وهذا معنى لايعرفُه إلَّا من جرَّبَ بنَفسه – ، أحسَسْتُ كأنَّ شيئًا يجذِبُني من أسفلي شبيهًا بِرَسِّ الحُمَّى أولَ ما تُـخالطُ البدن ، واضطربتْ مواضعُ قدَمي ، وجفَّ ريقي ، وأنكرتُ من نفسي ما أثبتُّ ، ولكن : « لابدَّ من صَنعا وإن طال السَّفر » . وكنتُ في ذلك كما قالَ الشَّاعرُ :

* فثبَّتُّ ساقي بعد ما كدتُ أَعثرُ *

فبَعدَ نَصَبٍ شديدٍ ، وإلحاحٍ كالنَّملةِ ، تَذرَّيْتُ سنامَه ، وقد غَلى الدَّم في رأسي ، وغطَّى على عيْنَيَّ ، وقلتُ بعدَ الذي لاقَيتُ : ينبغي ألَّا يكون أحدٌ من النَّاسِ امتدَّتْ قدَمُه إلى هذا المكانِ قَبلي ، فلمّا ثابتْ إليَّ نفسي طُفتُ في سَطحِه فوجدتُ آثارًا لا أثرًا فحَسبُ ، فتذكَّرتُ قولَ الحكيمِ زُهير بنِ أبي سُلمى المُزني :

وإنِّي متى أَهْبِطْ مِن الأرضِ تَلْعةً أَجِـدْ أَثرًا قَبـلي جديـدًا وعـافِـيا

ألا إنَّ المُعافى مَن عافاه الله ، والسَّعيدُ من وُعِظَ بغَيره ، وأنتَ ما دُمتَ تُبصرُ في هذا المنتدى وتَسمعُ ، فإنَّك سامعٌ من يقولُ : قد ارتقيتُ ذلك الجبلَ المُنيفَ ، وذلك الموضعَ الـمنيعَ ، فلا يخدعنَّك بهذا القولِ عن عَقلِك ، ولايُزيِّـنَـنَّه له في نَفسِك ، والله

يقولُ : ﴿ هُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِى مَناكِبِها وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ . ولـمَّـا عدا المرتَدُّون من طيِّئ وأسدٍ في بُزاخةَ على الإسلامِ وأهلهِ أمرَ بهم خالدُ بن الوليدِ فَرُمِي بهم من الجبالِ ، وجعَلَ ذلكَ عذابًا لهم .

* * *

ألغاز وأحاجي شعرية (٥)

من نظم بعض جلساء الملتقى

مستلة من حلقة الأدب والأخبار

ألغازٌ وأحاجيٌّ شِعريَّـة (٥)

من نَظمِ بعضِ جُلساءِ الملتقَى

الحمدُ لله رَبِّ العالمينَ ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على رَسولِ الله خاتَمِ النَّبيِّينَ ، وعلَى آلِه وصَحبِه أجمعينَ ، ومَن تَبِعَهم واستنَّ بسُنَّتِهِم إلى يومِ الدِّينِ ، أمَّا بَعدُ :

فَهذِه طائِفةٌ أُخرَى مِن الألغازِ والأحاجيِّ الشِّعريَّةِ ، اختَرناها لكُم مِن حَديثِ جَلِيسِنا في المُلتَقى الأستاذِ البازِ حفظه الله تعالى المعَنْوَنِ بـ (أَلْغَاز وأحاجِي شِعريَّة) ، اقتَصرنَا فيها كذلك على ما كانَ مِن مَقولِ جُلسائِنا الكِرامِ ، دُونَ ما كانَ مِن مَنْقولِهم .

***

١ . قالَ (أَبو إبراهِيمَ) مُلغِزًا :

لَـفْــظٌ ثُـلاثِـيٌّ إذا * أَبْـدَلْـتَ مِنْـهُ آخِرَا

فَاسْمٌ بِثَـا حَرْفٌ بِتَـا * فِعْلٌ بِسِـينٍ فَـاذْكُرَا

٢. وقالَ أيضًا :

وَمَا جَـمعٌ بمِــيزانٍ * وبِالإفــرادِ مَعـنـاهُ

ولِلإفـرادِ وَزنٌ فِيــ * ـهِ لا نِـدٌّ لِـمَـبنـاهُ

حَرامٌ لِلحَـرامِ فهلْ * عَرفتُـم ما أَردنـاهُ ؟

* * *

٣. وقالَتْ (عائِشةُ) مُلغِزَةً :

وشيء وجهُـه قَمَـرُ * ولـكن قَلبُه حَجَرُ

دعاءٌ نِصـــفُه بِبَـقًا * ونِصـفٌ آخرٌ بَجَرُ !

٤. وقالَت أيضًا :

ومـا طائرٌ نِصْــفٌ بــأَوَّلِهِ ظَـرْفُ * ونِصْفٌ إذا صَحَّفْتَ آخِرَهُ حَرْفُ ؟

٥. وقالَت أيضًا :

وما زهرةٌ نصـفٌ بأوَّلـــها نَهرُ * ونصفٌ إذا صحَّفتَه فهُوَ الوَقرُ ؟

٦. وقالَ (أحمد البخاري) مُلغِزًا :

وَما طائرٌ نِصـفُ بأوّلـــهِ بَحرُ * ونِصفٌ إذا فكَّرتَ طاعتُه بِـرُّ ؟

٧. وقالَ أيضًا :

ما اسْمٌ إذا صَحَّفـتَهُ * داءٌ بَـــــدا وُقِيــتَهُ

و إن حَـذَفتَ شَطرَهُ * مِـــن أَوَّلٍ بَـــرَرْتَهُ

مَـتى قَطَـعتَ ذَيـلَهُ * نَعِمْـــتَ إذْ لَبِســتَهُ

وَهْــوَ إذا قَلَبـــــتَهُ * مُصَحِّـفًا مَدَحْـتَـهُ

فـإن حَزَزتَ رَأسَــهُ * ذُمِـمـتَ إذ ظَلَمـتَهُ

واسْمُ الذي عَنَيــتُهُ * مُصَـــدَّقًا عَرَفـتَـهُ

أَبِنْ لنــا عَن لَفظِـهِ * إن كُنـتَ قدْ فَهِمتَهُ

* * *

الأَجوِبَـةُ

١ . جوابُ اللُّغزِ الأوَّل :

أجابَت عنه الأستاذةُ عائشةُ فقالتْ :

(لَيْثٌ) بِثًا (لَيْتَ) بِتَا (لَيْسَ) بِسِـــينٍ يا فَتَى

٢ . جَوابُ اللُّغزِ الثَّاني :

(السَّراويل) : قال في (القاموسِ – س ر ل) :

« السَّراويلُ : فارِسِيَّةٌ مُعَرَّبَةٌ ، وقد تُذَكَّرُ ، ج : سَراويلاتٌ » .

« أو جمعُ سِرْوالٍ وسِرْوالَةٍ أو سِرْوِيلٍ ، بكَسرهنَّ ، وليس في الكلامِ فِعْوِيلٌ غيرُها » اهـ

وهي مُحَرَّمةٌ على الُمحرِمِ ، فهي حَرامٌ على الحَرامِ – أي : الُمحرِمِ – .

٣. جوابُ اللُّغزِ الثَّالِث :

(الدُّمْلج) : وهو السِّوارُ . فمَقلوبُه : (جَلْمَد) ، وهو الصَّخرُ .

والسِّوارُ مُستديرٌ كالقَمرِ .

ونِصفُه : (دُم) ، وهو دُعاءٌ .

ونِصفُه الآخرُ : (لُج) ، واللُّجُّ : البَحرُ .

٤ . جوابُ اللُّغزِ الرَّابِع :

(العندليب) : فصَدرُه : (عند) ، وهو ظرفُ مكانٍ ، وقد يأتي للزَّمانِ .

والعجُز منهُ : (ليب) ، فإذا صحَّفناه كانَ : ليت ، وهو حرفٌ ناسخٌ .

٥. جوابُ اللُّغزِ الخامِس :

(النيلوفر) : فنِصفه (النِّيل) وهو النَّهرُ المَعروفُ .

والنِّصفُ الآخرُ : (وفر) ، وتَصحيفُه : وَقر .

٦. جوابُ اللُّغزِ السَّادِس :

(اليمـام) : فنِصفه (اليم) وهو البحرُ .

والنِّصفُ الآخرُ : (أم) ، وطاعتُها برٌّ .

٧. جوابُ اللُّغزِ السَّابِع :

(حَذامِ) : فتَصحيفُه (جُذام) وهو الدَّاءُ المعروفُ .

وشَطرُه الثَّاني : (أم) ، وبرُّها واجبٌ .

والباقي بعدَ حَذفِ آخِره : (حِذا) .

ومَقلوبُه مُصحَّفًا : (مادِحُ) .

والباقي بعدَ حَذفِ أوَّلِه : (ذام) .

والمثلُ يقولُ :

إذا قالَتْ حَذامِ فَصَدِّقُوها فَإِنَّ القَولَ ما قالَتْ حَذامِ

❋ ❋ ❋

من

مختارات الطرائف والنوادر (٧)

مستلة من مضطجع أهل اللغة

مِن مُختاراتِ الطَّرائفِ والنَّوادِرِ (٧)

الحمدُ لله ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على رَسولِ الله ، وعلى آلِه وصَحبِه ومَن والَاه ، واقتفَى أَثرَهُ ، واهتَدَى بهُداه ، أمَّا بَعدُ :

فإنَّ لِلقُلوبِ فَترةً عن بَعضِ الحقِّ ، لا يكشِفُها إلَّا التَّرويحُ عنها بشَيءٍ من اللَّهوِ المباحِ ؛ قالَ أبو الدَّرداءِ رَضِيَ الله عنهُ : « إني لَأُجِمُّ نَفسِي ببَعضِ الباطلِ ، كراهِيةَ أن أحملَ عليها مِن الحقِّ ما يُمِلُّها » اهـ

فإليكُم جُلساءَنا الكِرام طائفةً أُخرى مِن مُختاراتِ الطَّرائفِ مِن الحَديثِ الَّذي ابتدَأَه الأُستاذُ فَيصلُ المنصورُ ، وعَنْوَنَ له بِـ **(مِن مُختاراتِ الطَّرائفِ والنَّوادرِ)** .

❊ ❊ ❊

كانَ لأبي حَيَّةَ النُّمَيْرِيِّ سيفٌ يُسمِّيه (لُعابَ المَنِيَّةِ) ، وكانتِ المِغْرَفةُ أقطعَ منه ! فدخلَ بَيْتَه كلبٌ ليلةً من اللَّيالي مِنْ حَيثُ لا يَدري به ، فلمَّا حَسَّهُ في البيتِ ؛ توهَّمَه لِصًّا ، فقامَ في البيتِ ، وقالَ : أيُّها المُغْتَرُّ بنا ، المجـترئُ علينا ! جئتَ واللهِ إلَى خيرٍ قليلٍ ،

وسيفٍ صَقيلٍ ، ونفسٍ تأبى الضَّيمَ ، وتأنفُ العارَ ، جارُها آمنٌ ، وعدوُّها خائفٌ . أمَا سمعتَ بلُعابِ المَنِيَّةِ - ثَكِلَتْكَ أُمُّك - ؟ مشهورةٌ ضَرْبتُه ، لا تُخافُ نَبْوَتُه ، يُقرِّبُ الأجلَ ، ويُبطِلُ الأملَ . أمَا تخشَى وإن كنتَ قد أوطأتْكَ نفسُكَ العَشْوةَ فينا ، وسوَّلتْ لكَ ما لا تجدُه فينا ، إنْ أدعُ قيسًا ؛ ملأتْ عليكَ الأرضَ خَيلًا ورَجِلًا ، فيا طيبَها وطيبَ كثرتِها ! ما أنتَ والله ببعيدٍ من بائقتِها ، والرُّسوبِ في لُجَّتِها ، إن أقمتَ ؛ وثبَتْ على طُغْيانِك ، وإن هربتَ ؛ أدركتْكَ .

فما زالَ ذلك دأبُه ، وهو يخافُ أن يدخلَ ، وإذا به قد خرجَ عليه كلبٌ يُبَصْبِصُ ، فقال له : الحمدُ لله الَّذي مسخكَ كَلْبًا ، وكفاني منكَ حَرْبًا . ثمَّ قعدَ لا يدخلُ البيتَ ، فقيل له : ما لكَ لا تدخلُ ؟! فقالَ : لعلَّ اللِّصَّ في البيتِ ، وهذا كلبُه قد خرجَ !

[طبقات الشعراء لابنِ المعتزِّ]

* * *

قالَ الجاحظُ : « وقيلَ لصبيٍّ يلعب علَى بابهم: مَن أبوكَ يا غـلامُ ؟ - وكان اسمُ

---

(١) قال الـمحقِّق في الـحاشية عنـدَ قوله : « وسوَّلتْ لكَ ما لا تجدُه فينا » : « هكذا في الأصل ، ولعلها : هينا » اهـ

أبيه كلبًا– فقالَ : وَوْ وَوْ » اهـ

[الحيوان]

❋ ❋ ❋

ضلَّ أعرابي الطريق ، فباتَ جزعًا ، وأيقنَ بالهلاكِ ، فلـمَّا طلعَ القمرُ اهتدَى ، ووجد الطريق ، فرفع إليه رأسَه ليشكرَه ، فقال له : والله ، ما أدري ما أقول لكَ ، ولا ما أقولُ فيك ! أقول : رَفَعَكَ اللهُ ، فاللهُ قد رَفَعَكَ ، أم أقولُ : نَوَّرَك اللهُ ، فالله قد نَوَّرَكَ ، أم أقولُ : حسَّنَكَ الله ، فالله قد حسَّنَكَ ، ولكنْ ما بقيَ إلَّا الدُّعاء أن يُنسِئَ الله في أجَلِكَ ، وأن يجعلَني من السُّوء فداءكَ .

[شرح مقامات الحريري للشريشي]

❋ ❋ ❋

قالَ العلَّامةُ أحمدُ بنُ الأمين الشنقيطيُّ رحمه الله في كتابِه الماتعِ (الوَسيطِ في تَراجمِ أدباءِ شنقِيط) في ترجمةِ الشَّيخِ محمَّد بنِ الشَّيخ سيدي ما نصُّه : « وله مِن النُّكتِ الأدبيَّةِ أشياءُ كثيرةٌ ، ومنها : أنَّه كان له نديمٌ ، و أصلُه حدَّادٌ ، وأهلُ الصَّحراءِ يَزعُمون أنَّ الحدَّادينَ أصلُهم يهود ثمَّ أسلموا ، وكان ذلكَ الشَّخص اسمهُ (نَحْنُ) ، وكان يدَّعي أنه شريفٌ ، وكان يُجيد اللَّقْم ، فأعطاه جملًا على أن لا يغضـبَ من أبياتٍ

نظمَها فيهِ ، وهي :

ما هـزَّ عِطفَيْ كمِيٍّ بـينَ هيْجـاءِ بينَ الأواني كذِي النُّونَينِ و الحاءِ
فردٌ يقُومُ مَقـامَ الـجَمعِ فهْوَ لِذَا يُدعَى بمُضـمَرِ جَـمْعٍ بينَ أَسماءِ
يَسْطــو بأسلِـحـةٍ للأَكلِ أَربعَـةٍ يـدٍ وفــمٍّ وبُلْعــــومٍ وأَمـعـاءِ
تَخَالُ لُقْمــاتِهِ العُظــمَى بِراحَتِهِ كراكِـرَ الإِبْلِ أَو جَـمـاجِمَ الشَّاءِ
ما بـينَ طلْعـتِها فيــها وغَيبَتِـها في فيهِ إلاَّ كلَمـحِ الطَّرفِ للرَّائي
فتنهَـوي كدُلِـيٍّ خـانَ ماتِـحَـها أَشطـانُـها فـتَرامَتْ بـينَ أَرجاءِ
فبانَ أنَّ الذي يَـحْـويهِ مِن شَرَفٍ قد صَـحَّ لكنَّـهُ بالـهـاءِ لا الفـاءِ

[الوسيط في تراجم أدباء شنقيط]

* * *

قالَ الأستاذُ الدكتور محمَّـد رجب بيُّومي في كتابِه الـمُمتعِ الـمُفيدِ (طرائفُ ومُسامَرات) : « قالَ الأستاذُ رزوق عيسى في بَحثٍ تاريخيٍّ نَشرَه تِباعًا في مجلَّةِ الرِّسالَة – يناير١٩٤٧ – تحتَ عنوان : (داوُد باشَا ونَهضةُ العِراقِ الأدبيَّة) ، ما نصُّه : جَلسَ داوُد باشا على منصَّةِ ولايةِ بغدادَ سنةَ ١٣٢٢هـ ، وأجرى إصلاحاتٍ عديدةً ، مِنها إصلاحُ طريقةِ تَعليمِ العربيَّةِ ، وجلَسَ لتَعلُّمِها على أَيدي فطاحِلِ العلماءِ ، فوجدَ

أستاذَه يَستشهِدُ دائمًا بالـمَثلِ الُمردَّد : « ضَرَبَ زَيْدٌ عَمْرًا » ، فخطرَ له أن يسألَه على سبيلِ الدُّعابةِ ، عن الجنايةِ التي جَناها عمرٌو حتَّى استحقَّ أن يضربَه زيدٌ كلَّ يومٍ ، واستَغـربَ الأستـاذُ سـؤالَ الوالي ، ثمَّ قـالَ له : ليـسَ هنـاكَ في الواقـعِ ضـاربٌ ولا مَضروبٌ ، و لكنَّه مِثالٌ لتَقريبِ القاعدةِ .

ولم يرتَحْ داوُد باشَا للجوابِ ، وكأنَّ الأستاذَ أظهرَ بعضَ الاستِخفافِ به ، فاستَشاطَ غَضبًا ، و دَعا نفرًا من الشُّرطةِ ، ليَسحبُوه إلى السِّجنِ ، وظلَّت هذه المسألةُ شُغلًا شاغِلًا للوالي ، فجعلَ يَستقدِمُ أساتِذةَ النَّحوِ لسُؤالِهم ، فإذا سكتوا واحدًا بعدَ واحدٍ ، قادَهم إلى السِّجنِ ، حتَّى ضاقتْ بهم غُرفُ المحبسِ .

وفي غَمرةِ هذه المحنةِ تقدَّمَ نَحويٌّ سِياسيٌّ ، إلى مجلسِ داوُد باشَا ، كي يُجيبَ عن السُّؤالِ الدَّقيقِ ، فقال مُخاطبًا الباشَا : إنَّ جِنايةَ عَمرٍو يا سيِّدي خَطيرةٌ ، يَستحقُّ أن يَضرِبَه عليها زَيدٌ كلَّ آنٍ ، فقالَ الوالي بلَهجةِ الُمتلهِّفِ : وما جِنايتُه ؟ فقالَ النَّحويُّ الدَّاهيةُ : إنَّهُ هَجَم على اسمِ دَولتِكُم الكريمِ (داوُد) فسرقَ منه الواوَ ، إذ حَقُّه أن يُكتبَ (داوُود) ، ثمَّ ألحقَها بِاسمِهِ ، فصارَ يُكتبُ بها هكذا (عَمْرو) دونَ أن يَستـأذِنَكم ، فسلَّطَ عليهِ النُّحاةُ عِقابًا صارِمًا ، بأن يذوقَ الضَّربَ في حلقاتِ التَّدريسِ . فانْطلقَ وَجهُ الوالي بِالبِشرِ ، وقرَّبه إلى مجلِسه ، وسأله عمَّـا يَطلُبُ ، فقالَ :

لي مَطلبٌ واحِدٌ ، أن تُطلِقَ سَراحَ النُّحاةِ المَسجونينَ ، فإنَّهم يَستحقُّونَ الثَّوابَ لا العِقابَ . فأطلَقَهم الوالي وأكرَمَهم » اهـ

والأستاذُ بَيُّومي يُؤَكِّدُ أنَّها قصَّةٌ واقعيَّةٌ ، فيَا سُبحانَ الله !

[طرائف ومُسامرات]

* * *

قالَ الشَّيخُ محمَّد الموسى – مُديرُ مَكتبِ بَيتِ سَماحةِ الشَّيخِ عبدِ العزيزِ بنِ بازٍ رحمه الله تعالى سابِقًا – : « وكانَ سَماحةُ الشَّيخِ يعمرُ المجلِسَ بالفوائدِ ، والإجابةِ على الأسئلةِ ، وحَصلَ أنَّ حديثًا طويلًا دارَ حولَ الرُّقيةِ ، وتلبُّسِ الجنِّيِّ بالإنسيِّ ، وممَّا دارَ في ذلكَ المجلسِ أنَّ الشَّيخَ عبدَ العزيز السَّدحان ذَكرَ أنَّه وَردَ في تَرجمةِ أحمدِ بنِ نَصرٍ الخُزاعيِّ رحمه الله أنَّه رَقَى رَجلًا فيه مَسٌّ مِن الجنِّ فتكلَّمتْ على لِسانِه جنِّـيَّةٌ فقالتْ لأحمدَ بنِ نَصرٍ : يا شَيخ ، لن أَخرُجَ مِن هذا الرَّجلِ حتَّى يَدعَ القولَ بخَلقِ القُرآنِ . فتبسَّم سَماحتُه رحمه الله وقالَ : ما شاءَ الله ! هذه جِنِّـيَّةٌ سُنِّـيَّة ، هذه مِن أهلِ السُّنَّةِ والجماعَةِ ! » اهـ

[جوانب من سيرة الإمام عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى]

فهرس الموضوعات

* اقرأ في هذا العدد *